دانيال ستيل

DANIELLE STEEL



الملاك الحارس

JOHNNY ANGEL



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الفصل الأول

كانت الشمس مشرقة في صبيحة أحد أيام حزيران في سانت ديماس، إحدى ضواحي لوس أنجلوس النائية، وقد بدت ملامح بذخ حـياة لـوس أنجلوس وهوليوود بعيدة كل البعد عن هذا المكان، وغابـت المدينة مع ملامح الأطفال القروية البارزة في هذا اليوم الصيفي الدافئ. لقد أوشكت السنة الدراسية على الانتهاء، والعطلة الـصيفية علـى الأبواب، والتخرج بات قريب القطاف من طلاب الثانوية، ولم يتبقَ على الحفل المنتظر سوى بضعة أيام.

كـان المتحدث باسم المتخرجين جوني بيترسون، وهو نجم فريقـي سباق المسافات وكرة القدم في السنوات الأربع الماضية. مـنذ ذلك الحين، وهو على علاقة متميزة مع بيكي آدامز. ها هما يقفـان عند درج المدرسة مع مجموعة من الأصدقاء. كان جسده النحيل ينجذب نحوها كلما التقت أعينهما بين الحين والآخر. فهما يحتفظان بسر لم يتمكّنا من إخفائه جيداً؛ سر يحتفظ به الكثير من الـشباب في سنّهما. لقد جمعتهما علاقة عاطفية بدأت مع سنوات الدراسـة الـثانوية، وتـوطدت مـنذ السنة الفائتة. إنهما حبيبان ويخططان ليكونا معا يوماً ما. فهو سيبلغ الثامنة عشرة في يوليو وبيكي أتمّت الثامنة عشرة في مايو الماضي.

كان شعره البني الغامق يلمع تحت أشعة الشمس الصيفية، مع وميض نحاسي ينبعث من عينيه البنيتين. وكان طويل القامة، عريض الكتفين، رياضيًّا، ذا أسنان رائعة وابتسامة ساحرة. يتمنّى جميع الشباب في مثل سنّه أن يكونوا مثله، إلا أن القليل منهم كان كذلك. وأكثر من ذلك، كان فتى رائعاً، وشخصاً لطيفاً، وطالباً مُجدّاً واجتماعياً؛ كما كان شابًّا مسؤولاً يؤدي وظيفتين عندما لا يمارس الرياضة وفي عطلات نهاية الأسبوع. فلقد كان على والديه أن يهتما بشؤون ثلاثة أولاد من دون أن يتوفر لديهما المال الكافي لذلك، وغالباً ما كانا يتدبران الأمر بصعوبة. لذلك، قرّر جوني أن ينتسب إلى كلية حكومية بعد حصوله على منحة دراسية ويدرس المحاسبة، بدلاً من احتراف كرة القدم، كي يتمكن من مساعدة والده الذي كان يدير شركة صغيرة للمحاسبة بتململ، على عكس جوني الذي كان نابغة في الرياضيات إضافة إلى مهاراته العالية في الحاسوب التي ساعدته كثيراً. أما والدته فكانت ممرضة تقاعدت منذ سنوات عدة لتهتم بأخته وأخيه الصغيرين: شارلوت، أخته الصغيرة التي أتمّت سنواتها الأربع عشرة حديثاً، وستبدأ دراستها الثانوية في الخريف المقبل، وبوبي في التاسعة من عمره وهو طفل من ذوي الحاجات الخاصة؛ مما جعل العناية بهما، في الواقع، بمثابة وظيفة بدوام كامل بالنسبة إلى الوالدة، خصوصاً في السنوات الخمس الماضية.

أما بيكي، فلم تكن عائلتها مستقرة كما كانت عائلة جوني. كان والدها عامل بناء، ترك أربعة إخوة صغار عندما قضى في حادث مروع، الأمر الذي أوقع العائلة في حالة ذهول ويأس.

وقد اضطرت بيكي إلى أن تعمل بكدّ في وظيفتين كي تسدّ حاجة عائلتها من المال الذي كانت تجنيه هي وأخوها. فهي لم تحصل على منحة دراسية كالتي حصل عليها جوني، لذلك قررت العمل بدوام كامل في إحدى الصيدليات طوال هذا العام على أن تحاول، مجدداً، الحصول على المنحة في العام المقبل. ولم يكن توقفها عن الدراسة لفترة وجيزة أمراً يزعجها، بل كان مبعَث ارتياح، لأنها لم تكن طالبة مجدّة كما هو الحال مع جوني، وكانت تحب العمل، وكذلك تحب إخوتها، وتشعر بالسعادة عندما تساعد والدتها بكل ما في وسعها، كي لا يستهلكوا مبلغ تعويض التأمين الزهيد الذي حصلوا عليه اثر حادثة وفاة والدها. ولأنّ الأمور كانت صعبة إلى هذا الحدّ، كان جوني الجانب الجميل الوحيد في حياتها.

كانت بيكي فتاة جميلة بشعرها الأشقر وعينيها الزرقاوين كزرقة السماء الصيفيّة، وكانت تبادل جوني مشاعر الحب التي يكنّها لها. كانت تشعر بالقلق بشأن ذهابه إلى الكلية ومخالطته فتيات أخريات، إلا أنها كانت تثق أنه يحبها. كان جميع رفاقهما في الصف يرون أنهما ثنائي ممتاز: فهما معا باستمرار يضحكان ويتحدثان ويمزحان بفرح ولا يختلفان على أمر مهما عظم شأنه. فلقد كانا يغتنمان كل دقيقة سانحة للبقاء معا، مما قلّص عدد أصدقاء بيكي. كانا يذهبان إلى الصف سوياً، ويتقابلان في المساء كلما أتيح لهما الوقت، بعد الرياضة وإنجاز الفروض والواجبات المنزلية والعمل. حتى إنّ أهلهما توقفا عن التذمر بشأن عدد المرات التي يلتقيان فيها، فهما بالكاد يفترقان.

وبما أن التخرج من الثانوية أصبح وشيكا، فقد كان الجميع يتحدث عن التخرج والحفل الذي يليه. وقد أهدى جوني فستان التخرج لبيكي، فلولاه لما تمكنت من المشاركة في الحفل، واحتفظا بالأمر سراً. وها هي تبتسم له الآن بعد مرور أربع سنوات من الحب والثقة والأسرار، ويتراقص البريق في عينيها كالألعاب النارية كلما نظرت إليه.

قال جوني مبتسماً: "عليَّ الذهاب أيها الأصحاب. يجب أن أذهب إلى العمل". كان يعمل كأمين مخزن وكذلك يقطع الأخشاب في شركة أخشاب قريبة من المدرسة. وكان يجني الكثير من المال لقاء هذا العمل الجاد. أما بيكي فكانت تعمل في صيدلية، وقد أوشكت أن تعمل بدوام كامل بعد توقفها عن أداء الوظيفة الأخرى كنادلة في أحد المقاهي القريبة من المدرسة، مما جعل عملها أكثر سهولة نظراً لكونه في مكان واحد. كان جوني يعمل لدى والده في عطلات نهاية الأسبوع، ولدى شركة الأخشاب بعد التدريب والرياضة. وسيعمل أيضاً لديهم بدوام كامل طوال فصل الصيف ليجني كل ما باستطاعته من مال قبل الدخول إلى الجامعة. "هيا بيكي". شدّها من ذراعها ليسحبها بعيدا عن الفتيات اللواتي كنّ يتحدثن عما سيرتدينه في الحفل بعد يومين، دون أن يساورهن قلق إزاء من سيرافقن إلى الحفل. فبالنسبة لمعظمهنّ، كان التخرج نهاية مرحلة وبداية تحقيق حلم، تماماً كما كان الأمر بالنسبة لجوني وبيكي، إلا أن علاقتهما منحتهما الثقة والكثير من الدعم العاطفي، مما سهل دراستهما الثانوية.

أخيرا، تمكنت بيكي من الانسحاب من بين رفيقاتها، وأسدلت شعرها الأشقر الطويل على كتفيها بينما تبعت جوني إلى سيارته. كان يحمل حقيبتيهما اللتين رماهما بخفة على المقعد الخلفي فيما نظر إلى ساعته. "هل تريدين أن نذهب لنقل الأولاد؟" لقد كان يساعدها في ذلك كلما أمكنه ذلك.

سألته بارتياح "هل لديك وقت؟" كانا يبدوان أحياناً متزوجين ويدركان في أعماق قلبيهما أنهما سيكونان كذلك يوماً ما. إنه أحد الأسرار التي يحتفظان بها. فقد كانا قريبين جداً وترعرعا سوياً. لذلك، بدا أحياناً أنهما ليسا بحاجة إلى الكلام.

قال مبتسماً: "بالتأكيد لديَّ وقت". فيما استرخت على مقعدها، وشغّلت المذياع، فهما يحبان نوع الموسيقى ذاتها، والأشخاص ذاتهم، والأكل ذاته. كما أنّها تحب مشاهدته يلعب كرة القدم. وهو يحب أن يرقص معها، ويتحدث معها على الهاتف لساعات بعد العمل. وفي معظم الليالي، كان يزورها في بيتها في طريق عودته إلى البيت، ثم يتصل بها هاتفيا بعد إنجازه لفروضه المنزلية، مما جعل والدته تقول إنهما كالتوائم.

كانت المدرسة حيث يذهب إخوتها الصغار على بعد أربعة مفارق، وكان الأربعة يمرحون في ملعب المدرسة حين وصل جوني وبيكي، لوّحت لهم بيدها. وتوجه الإخوة آدامز نحوهما كالبرق، فقلبت بيكي المقعد ليتمكنوا من الجلوس على المقعد الخلفي.

قال الصبيان معاً: "مرحباً جوني". وشكره بيتر، الأخ الأكبر الذي يبلغ الثانية عشرة من عمره لأنّه سيقلّهما. فهم أولاد لطفاء

ومؤدبون: مارك في الحادية عشرة من العمر وراشيل في العاشرة وساندي في السابعة. كان بيتهم صاخبا ومليئا بالحياة والمحبة. وبالرغم من مرور عامين على وفاة والدهم، كانوا لا يزالون يفتقدونه. وجل ما قامت به والدتهم هو متابعة شؤونهم والعمل بكد. فبدت أكبر بعشر سنوات. ورغم إصرار أصدقائها على وجوب التعرّف على رجل آخر والخروج معه، إلا أنها كانت تعتقد أنهم مجانين، وكان ردها دائماً أن لا وقت لديها. غير أنها كانت تدرك أنّ الأمر غير مرتبط بانشغالها على الإطلاق، وكانت بيكي تعلم ذلك لأن والدتها لم تحب أحداً غير والدها، ولا يمكنها تصور فكرة الخروج مع رجل سواه، فهما أيضاً كانا حبيبين منذ أيام الدراسة الثانوية.

أنزل جوني الأولاد من السيارة، وقبلته بيكي قبل أن تترجل من السيارة، ولوّح بيده للجميع فيما كان يبتعد عن المكان. عندما اختفى عن الأنظار، رافقت الأولاد إلى البيت، وأعدّت لهم الطعام والشراب قبل أن تذهب إلى العمل. فقد كانت تعلم أنّ والدتها التي تدير مدرسة تجميل محلية ستعود إلى البيت بعد ساعتين. وبالرغم من كونها امرأة جميلة، إلا أنّ الحياة لم تجرِ كما كانت تتمنى؛ إذ لم يخطر ببالها أبداً أن تبلغ الأربعين وهي أرملة وأم لخمسة أولاد.

بعد أربع ساعات، عاد جوني إلى مدخل بيت بيكي الأمامي وعلامات التعب والسعادة بادية على وجهه. لقد ظلّ عندها مدة تكفي ليأكل معها سندويشاً وهما يجلسان إلى طاولة المطبخ، ويتحدث مع والدتها ويداعب الأولاد، ليعود بعد ذلك إلى منزله في التاسعة والنصف. كانت أيامه طويلة وليس فيها أي فراغ.

"لا يمكنني أن أصدق أن التخرج بات وشيكاً إلى هذا الحد. يبدو لي وكأنكما لا زلتما في الخامسة من العمر وتذهبان للعب معاً". قالت ذلك وهزّت بام آدامز رأسها بينما كانت تنظر إلى جوني ينهض بجسده الطويل عن كرسي المطبخ. لقد كان يلعب في فريق كرة السلة وكان ماهرا في ذلك، إلا أنّه تفرغ تدريجيا للعب كرة القدم والسباق. نظرت بام إلى جوني بامتنان؛ فهي تراه فتى جيداً، وتمنت لو أنه وبيكي يتزوجان يوماً ما، وأن يعيشا حياة أطول من الحياة التي عاشها زوجها، دون أن تندم على السنوات التي عاشتها مع زوجها مارك لأنها كانت جيدة جداً؛ كل ما يؤلمها هو أنه قد توفى. قالت بهدوء "أشكرك لشرائك ثوب التخرج لبيكي". لقد كانت الوحيدة التي تعلم بالأمر. فهو لم يخبر والده ووالدته بهذا الأمر.

قال بعفوية: "يبدو رائعاً عليها". فيما ساوره شعور بالخجل من نظرة الامتنان في عيني والدتها. "أظنّنا سنمضي وقتاً ممتعاً". كان قد طلب لها بعض الزهور لتزين بها صدر الثوب.

قالت بحنان: "أتمنى ذلك. لقد تمّت خطوبتي على والد بيكي خلال حفلة التخرج". إلا أنّها لم تكن تلمّح له بالأمر. فقد كان جلياً أنهما عازمان على الأمر، سواء تبادلا الخاتمين أم لم يفعلا.

قال جوني بينما كان يغادر البيت: "أراكِ غداً". ولحقت به بيكي إلى الخارج. وقفا قرب سيارته بضع دقائق يتحدثا، ثم ضمها بين ذراعيه، وقبلها قبلة مفعمة بالمشاعر والأحاسيس وقوة الشباب، وكانت بالكاد تستطيع التقاط أنفاسها عندما توقفا عن ذلك.

قالت: "من الأفضل لكَ أن تذهب قبل أن أسحبكَ بين الأشجار، جوني بيترسون". ورسمت تلك الابتسامة التي ألهبت قلبه طوال تلك السنوات.

قال مداعباً: "تبدو لي فكرة حسنة. إلا أنّ الأمر قد يزعج والدتك قليلاً". لم يكن أهلهما على علم إلى أي مدى آلت الأمور، أو كانا يظنان ذلك. غير أنّ ما لم يكن يعلمه كلاهما هو معرفة والديهما بذلك. فقد تناولت بام ذات مرة الموضوع مع بيكي وطلبت منها أن تتوخى الحذر، إلا أنهما كانا كذلك أصلاً؛ فلقد كانا على قدر عالٍ من الحساسية لأنهما حتى الآن على الأقل لم يرتكبا أي حماقة إذ إنّ بيكي لم تكن تعتزم إنجاب الأطفال إلا بعد أن يتزوجا، الأمر الذي لا يزال تحقيقه بعيد المنال. كان ينبغي على جوني إنهاء دراسته وكذلك الأمر بالنسبة لها إذ لم تكن قد تسجلت بعد لسنة أخرى. ولم يكن الاثنان على عجلة من أمرهما لأنه لا يزال هناك متسع من الوقت. قال: "سأتصل بكِ لاحقاً". واعداً إياها فيما كان يركب سيارته، فهو يعلم أنّ والدته بانتظاره على الأرجح مع بعض الطعام، رغم أنه قد تناول الطعام في بيت بيكي. وبما أنه ليس هناك من فروض منزلية ينجزها، بات بإمكانه قضاء بعض الوقت مع أخويه ووالده، الأمر الذي يتوقف على ما هو حال البيت عليه لدى وصوله إلى هناك.

كان منزله يبعد ميلين عن منزل بيكي، لذا فقد وصل إلى منزله بعد خمس دقائق. أوقف سيارته في المرآب خلف سيارة والده، وفيما كان يعبر من حديقة المنزل الخلفية، رأى أخته شارلوت تلعب كرة السلة وحدها، تماماً كما كان يفعل هو. بدت

تشبه والدته كثيراً، وبيكي قليلاً بعينيها الكبيرتين الزرقاوين وشعرها الأشقر الطويل. كانت ترتدي سروالاً قصيراً وقميصاً قطنياً، وبدت ساقاها طويلتين تماماً كساقيه. لقد كانت طويلة بالنسبة لمن في مثل سنها وجميلة، لكنها لم تكن تأبه لذلك. الأمر الوحيد الذي كان يهمها هو الرياضة: كانت تأكل، وتنام، وتحلم، ولم تكن تتكلم عن شيء سوى البايسبول في فصل الصيف، وكرة القدم وكرة السلة في فصل الشتاء. لذلك كانت تلعب مع أي فريق يسمح لها بذلك. فهي اللاعبة الرياضية الأكثر شمولية، بين كل الذكور والإناث الذين صادفهم جوني في حياته.

قال بينما كان يلتقط الكرة التي رمتها باتجاهه: "مرحباً شارلي، كيف حالك؟" لطالما كان يبتسم كلما فعلت ذلك، لأنها ترمي الكرة كما يفعل الذكور. لقد كان لديها موهبة متميزة في الرياضة.

"بخير". نظرت إليه من أعلى كتفها بعدما رمى لها الكرة مجدداً والتي رمتها بدورها في السلة. استطاع جوني أن يلاحظ عندما نظرت إليه أنّ عينيها حزينتان.

"ماذا هناك؟" ولفّ ذراعه حول خصرها، فتوقفت عن اللعب للحظات ثم مالت نحوه، فكان باستطاعته أن يشعر بالأسى يغمرها؛ لقد بدت خلال السنوات القليلة الماضيةِ أكبر من عمرها لأنها طويلة القامة، وأيضاً لأنها كانت تتميز بحكمة تفوق سنوات عمرها.

"لا شيء".

سألها: "هل والدي في البيت؟" رغم معرفته أنه هناك لأن سيارته متوقفة في المرآب. كان جوني يعلم ما يزعجها لأن ذلك ليس بالأمر الجديد لكليهما، إلا أنّه وبعد كل تلك السنين كان لا يزال يؤلمها.

"أجل". هزّت رأسها، ثم عاودت اللعب بالكرة من جديد. راقبها جوني تفعل ذلك للحظات ثم أخذ منها الكرة ولعبا سوياً بضع دقائق يرميان الكرة واحداً بعد الآخر داخل السلة، فأدهشته مهارتها مجدداً، وشعر بالأسف لبعض الوقت لكونها لم تكن ذكراً بل أنثى، وأدرك أنه خطر لها الأمر ذاته أيضاً. لقد حضرت جميع المباريات التي لعبها طوال سنواته الدراسية، وكانت متعلقة به جداً لأنّ جوني كان كل ما تمنت هي أن تكونه. إنه بطلها أكثر من أي شخص آخر على وجه الأرض.

تركها بعد عشر دقائق، ودخل البيت، حيث كانت والدته تقف في المطبخ تجفف الصحون، فيما كان أخوه الصغير بوبي ينظر إليها من مكانه إلى طاولة المطبخ، ووالده في غرفة الجلوس يشاهد التلفاز.

"مرحباً أمي". ثم طبع قبلة على مكان ما في أعلى رأسها وهي تبتسم. فقد كانت أليس بيترسون شديدة الحب لأولادها، وكان أسعد أيام حياتها يوم وُلد جوني، وهي لا تزال تشعر كذلك كلما تنظر إليه الآن.

"مرحباً يا عزيزي، كيف كان يومك؟" تراقص البريق في عينيها عندما نظرت إليه تماماً كما يحصل كل ليلة، فهي متعلقة به بشكل خاص.

"جيد جداً. التخرج يوم الاثنين والحفل بعد يومين". ضحكت لما قاله بينما كانت تنظر إلى بوبي.

"حقاً؟ أتظنني نسيت؟ كيف حال بيكي؟" إذ لم يتحدث الاثنان عن شيء سوى عن التخرج لشهور خلت.

"بخير". ثم وجّه اهتمامه لبوبي الذي ابتسم حين اقترب منه أخوه الأكبر. "مرحباً يا حبيبي، هل كان يومك جيداً؟" لم يردّ بوبي بكلمة واحدة، ولكن ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه حين عبث جوني بشعره.

كان لجوني معه أحاديث طويلة يخبره خلالها كل ما فعله في يومه ويستفسر عما قام به أخوه الأصغر، دون أن يتفوه بوبي بكلمة واحدة. لقد مضى على حاله هذه خمس سنوات، منذ كان في الرابعة من عمره. فقد تعرض لحادث هو ووالده عندما خرجت السيارة عن مسارها على الجسر ونزلت في الماء، وكان الاثنان سيغرقان لولا أن أنقذهما عابر سبيل. تم وضعه بعد ذلك في العناية المركزة لمدة أسبوعين، إلا أنّه لم يتفوه بكلمة منذ ذلك الحين، ولم يتمكن أحد من معرفة ما إذا كان سبب ذلك خلل دماغي نتيجة بقائه في الماء لوقت طويل أو صدمة نفسية، وعجزت كل محاولات الأخصائيين والمعالجين وكل أنواع العلاجات عن تغيير حالته. لقد كان بوبي واعياً ومدركاً لكل ما يجري حوله، لكنه لم يتكلم مما اضطرهم لوضعه في مدرسة خاصة بالمعوقين حيث شارك في بعض الأمور، إلا أنّه يعيش الآن في عالم مغلق تماماً.

كان بإمكانه الكتابة، لكنه لم يتواصل بالكتابة أيضاً لأنه كان ينسخ الحروف والكلمات التي يكتبها الآخرون دون أن يجيب عن

أي أسئلة، شفهياً كان ذلك أو خطياً، ولم يتطوع للقيام بأي عمل، الأمر الذي جعلهم يظنون أنّه لم يعد لدى بوبي ما يقوله. ومنذ ذلك الحادث، كل ما كان والدهم يميل للقيام به هو تناول الشراب بكمية زائدة في الحفلات، ليصبح بعد ذلك مخدّراً لفرط ما تناوله من شراب، وهو يقوم بذلك كل ليلة دونما تفكير. إلا أنّه لم يقع أرضاً يوماً، ولم يثمل أو يتصرف بعدوانية. جل ما كان يفعله هو أن يجلس أمام التلفاز ويتناول الشراب دون أن تكون معرفة السبب أمراً غامضاً بحاجة إلى تفسير. فقد كان الأمر كذلك منذ خمس سنوات.

حاولت أليس التحدث إليه عن ذلك في البداية، وظنت أنه سيتغلب على هذه المشكلة، إلا أنه - تماماً مثل بوبي الذي لم يتمكن من التغلب على مشكلته الكامنة في صمته - لم ينجح. من أجل ذلك، وبطريقتهما الخاصة، كان كل واحد منهما يعيش في عالمه المغلق الخاص. بوبي في فقاعته الصامتة، وجيم في دوامة الشراب. لقد كان الأمر صعباً على الجميع، لكنهم جميعاً تفهموا ذلك الآن، وتقبلوه، واقتنعوا بأنه لن يتغير. كذلك، اقترحت عليه زوجته الذهاب إلى مركز تأهيل المدمنين مرات عدة، وكان يحسم الأمر سلباً. فهو يرفض مناقشة مشكلته معها أو مع أحد غيرها. حتى إنّه يرفض الاعتراف بأنه مدمن.

سألته والدته: "هل أنتَ جائع يا عزيزي؟ لقد احتفظتُ لكَ بطعام العشاء".

قال بهدوء ملامساً خد بوبي: "لا أشعر بالجوع. لقد تناولت سندويشاً في منزل آل آدامز". لقد بدا أن ملامسة بوبي هي أحياناً

الطريقة المثلى للتواصل معه. إذ شعر جوني أنه أقرب منه من أي وقت مضى لأن بينهما رباطاً لا ينكسر، مما جعل بوبي أحياناً يلاحقه أينما ذهب، بصمته المعهود وعينيه الكبيرتين الزرقاوين المفعمتين بالحب.

قالت والدته: "أتمنى لو أنكَ تصبر وتتناول الطعام معنا بين الحين والآخر، ما رأيك ببعض الحلوى؟ لقد حضّرت فطيرة التفاح". كانت هذه المفضلة لديه، وكانت تحضرها له كلما استطاعت القيام بذلك.

"تبدو لي فكرة جيدة". لم يكن يريد أن يجرح شعورها. لذلك كان أحياناً يتناول العشاء كاملاً مرتين؛ مرة في بيت بيكي، ومرة أخرى في بيته، فقط ليشعرها بالسعادة. فهو شغوف بحبها وهي تبادله الشعور نفسه. لقد كانت علاقتهما أكثر من مجرد علاقة أم وابنها. كانا صديقين.

جلست معه إلى طاولة المطبخ بينما كان يأكل الفطيرة وبوبي يراقبه. تحدث جوني ووالدته عما كان يجري؛ أداء شارلوت في لعب كرة السلة وحفل التخرج. كان سيحضر بذته الرسمية السوداء المستأجرة من المحل غداً. وكانت بالكاد تستطيع الانتظار لتراه يرتديها، لذا اشترت فيلماً للكاميرا لالتقاط بعض الصور له، وعرضت عليه أن تشتري زهور الزينة لثوب بيكي.

"لقد اشتريتُ لها الزهور، لكن شكراً على أي حال". ثم قال إنّ عليه العمل على كتابة كلمة الخريجين لأنه المتحدث باسمهم، وعليه إلقاء كلمة الافتتاح. فشعرت بالفخر به دون تحفظ كما كان حالها طوال حياته.

توقف في غرفة الجلوس للحظات في طريقه إلى الطابق العلوي حيث كان والده غارقاً في سبات عميق وصوت التلفاز عالياً. كان ذلك مشهداً معتاداً. فأطفأ جوني التلفاز، وصعد بهدوء إلى الطابق العلوي، وجلس إلى مكتبه. ما إن بدأ بالنظر إلى ما كتبه آنفاً حتى فُتح باب غرفته، وأُغلق بهدوء، ليدخل بوبي بعدها ويجلس على السرير.

شرح جوني "أنا أعمل على إنجاز كتابة كلمة لحفل التخرج بعد أربعة أيام". لم يعلّق بوبي على الأمر، فعاد جوني إلى عمله. كان يشعر بالارتياح لتواجد بوبي معه في الغرفة، وبدا بوبي أيضاً سعيداً بذلك. بعد مرور بعض الوقت، استلقى بوبي على السرير، وحدّق في سقف الغرفة. في أوقات كهذه، لم يكن هناك من طريقة لمعرفة ما كان يدور في رأسه؛ إذا ما كان لا يزال يتذكر الحادث ويفكر به، أو إذا كان عدم كلامه قراراً نابعاً منه أم أنه غير قادر عليه.

لقد كانت آثار الحادث وخيمة بالنسبة للجميع: فمنهم من حاول كلّ ما في وسعه خلال السنوات الخمس الماضية، مثله هو وشارلوت، أن يصبحا قريبين أكثر منه للتعويض عن الأسى الذي اعترى الجميع، ومنهم من استسلم كما فعل والده الذي كره عمله وحياته وتناول الشراب حتى الثمالة كل ليلة وترك الشعور بالذنب يأكله. كان جوني يدرك أنّ والدته وبطريقتها الخاصة استسلمت هي أيضاً بدورها للأمر؛ إذ فقدت الأمل في أن يتكلم بوبي مجدداً، أو أن يسامح جيم نفسه لما حصل بسببه، بالرغم من أنها لم تشعر بالغضب منه أبداً، ولم تتهمه يوماً بالإهمال أو التهور، مع أنه كان

يحتفظ ببعض قناني الشراب تحت المقعد عندما خرجت السيارة عن مسارها على الجسر. كره جيم بيترسون نفسه بسبب ما حدث لأنّ فعلته هذه كانت من الأمور التي لا يمكن تصويبها. إلا أنّ الجميع تجاوزوا الأمر، واستمروا في الحياة؛ لكن الأمور اختلفت عما كانت عليه في السابق، وستظل كذلك.

عمل جوني على الكلمة لمدة نصف ساعة إضافية، وبدا راضياً عما أنجزه، ثم ذهب ليستلقي إلى جانب بوبي على السرير حيث كان الولد مستلقياً بهدوء وصمت. فأمسك جوني بيده، وبدا وكأن الكلمات والمشاعر التي يتبادلانها تمر عبر أصابعهما. ما كان يشعر به أحدهما تجاه الآخر كان يفوق الكلمات والأصوات ولم يكونا بحاجة إلى أن يقولا أي كلام.

ظلّ الاثنان مستلقيين لوقت طويل، إلى أن صعدت والدتهما إلى الطابق العلوي باحثة عن بوبي الذي طلبت منه أن يذهب إلى سريره. لم يهز رأسه رافضاً ولم تقل عيناه أي كلام على الإطلاق، لكنه قام بهدوء، ونظر إلى جوني، ثم مشى بهدوء عائداً إلى غرفته، فيما تبعته أمه لتضعه في السرير. فهي لم تتركه ليوم واحد منذ وقوع الحادث. كانت إلى جانبه دوماً، ولم تتركه يوماً مع حاضنة، ولم تذهب يوماً إلى أي مكان. كانت حياتها تدور حوله، وتفهّم الآخرون الأمر. لقد كانت تلك بمثابة هديتها له.

كانت الساعة الحادية عشرة ليلاً عندما اتصل جوني ببيكي التي رفعت السماعة من الرنة الثانية. كان إخوتها ووالدتها قد خلدوا إلى النوم، إلا أنها كانت تنتظر اتصال جوني الذي لم ينسَ الاتصال بها أبداً. فلطالما أحبا التحدث إلى بعضهما البعض عند

نهايـــة الـــيوم، وفي كل صباح كان يقلّها وإخوتها في طريقه إلى المدرســـة. لقـــد كانت أيامه تبدأ وتنتهي معها. "مرحباً يا حبيبتي. كيف حالك؟" كان يبتسم كلّما كلّمها.

"بخيـــر. أمـــي نائمة. لقد كنت لتوّي أنظر إلى الثوب". كان يشعر بالفرح في صوتها مما أسعده. فهو ثوب جميل وبدت رائعة فيه. إنها فتاة فائقة الجمال وهو يشعر بأنه محظوظ لأنها له.

قـــال: "ســـتكونين أجمل فتاة في الحفل". كان يعني كل كلمة يقولها.

"شـــكراً. كيف هي الأمور في منزلك؟" فهي قلقة بشأنه لأنها علـــى علم بمشكلة والده، كما يعلم الجميع. فقد مضى على إدمانه الشراب سنوات. كذلك، كانت تشعر بالأسى تجاه بوبي أيضاً فهو فتـــى لطـــيف. وكانت تحب شارلوت التي تتصرف كالصبية في بعـــض الأحـــيان، والتي كانت تشبه جوني إلى حدٍّ كبير بذكائها وتـــشبه والـــدتها بلطفها. إلا أنّ الأمر كان غاية في الصعوبة أن يتعرف أحد إلى شخص الوالد.

"كالعـــادة. نـــام والدي أمام التلفاز، وأشعر أن شارلي حزينة نوعاً ما. فلطالما أرادته أن يحضر مبارياتها، إلا أنّه لم يفعل ذلك قط. تقول والدتي إنها فازت في مباراتين محليتين اليوم، غير أنها لـــم تأبـــه للأمر بسبب عدم اكتراث والدي الذي كان يحضر كل مبارياتي. لكنني أعتقد أنه لا يظن الأمر بالأهمية ذاتها بالنسبة إلى البنات. في بعض الأحيان يتصرف الناس بغباء شديد". وبدا جوني حـــزيناً لأنه لم يتمكن من تغيير هذا الأمر من أجلها رغم محاولته الـــتحدث مع والده حول الأمر، إلا أنّه بدا وكأنه لم يسمع أو يأبه.

لذلك كان جوني يذهب إلى مباريات شارلي كلما استطاع ذلك. "لقد انتهيت من كتابة الكلمة. أتمنى أن تنال إعجاب الجميع".

"سيكون ذلك رائعاً. أنتَ تعلم ذلك، وسأكون فخورة جداً بك".

كـــان الاثـــنان يتبادلان الدعم المعنوي والشعور بالارتياح اللذين يحتاجان إليهما، واللذين ليس لوالدة كل منهما الوقت لتوفيرهما. لقد عـــمَّ الأسى في منزل كل منهما لدرجة جعلت الوالدتين منشغلتين ومـــشتتين، وهـــو أحـــد الأســـباب التي رسّخت الرابط بين بيكي وجونـــي. إذ بطـــريقة ما، كان كل واحد منهما كل شيء بالنسبة للآخـــر، بالـــرغم مـــن وجـــود الإخوة، والأخوات، والوالدتين، والأصحاب. لقد أعطى كل منهما الآخر ما لم يتمكن أحد سواه من إعطائه.

"سأراكِ غداً يا حبيبتي". لم يكن هناك الكثير ليقولاه، كانا فقط يحبان أن يسمعا صوت بعضهما البعض قبل الخلود إلى النوم.

قالت بهدوء: "أحبكَ يا جوني". وجلست إلى طاولة الهاتف في المطبخ بثوب النوم تفكر به.

"أحـــبكِ أيضاً يا حبيبتي. نوماً هانئاً". ثم أقفلا الخط، وصعد جوني ببطء وهدوء إلى الطابق العلوي متوجهاً إلى غرفته في بيت يعمّه الهدوء.

الفصل الثاني

"يا الله، تبدو رائعاً!" أطرت أليس بيترسون على ابنها الأكبر بينما كان ينزل من غرفة نومه مرتدياً بذته الرسمية السوداء المستأجرة، والتي بدا فيها طويلاً، وجذاباً، ووسيماً. لقد كان يرتدي قميصاً أبيض وسترة رسمية سوداء تناسبه تماماً، إضافة إلى وردة بيضاء مثبتة على طية ياقة السترة. "تبدو كنجوم السينما". رغم أنها لم تقل له ذلك، إلا أنه بدا كالعريس يوم زفافه. فقد كان شاباً في غاية الوسامة.

توجه نحو الثلاجة ليأخذ زهور زينة ثوب بيكي الأبيض، ووقف في الردهة وهو يحمل العلبة البلاستيكية الشفافة، بينما نزلت شارلوت السلالم مسرعة، ووقفت أمامه بابتسامة عريضة على وجهها. وكالعادة، كرة السلة في يدها.

سألت الأم بافتخار: "ما رأيك بمظهر أخيك؟" فيما قهقهت الابنة.

قالت دون تكلف: "يبدو كالأبله". فضحك جوني.

"أشكركِ يا أختي. ستبدين كذلك يوماً ما عندما تذهبين إلى حفل تخرجكِ. لا يمكنني الانتظار! لا بد وأنكِ ستأخذين معك كرة السلة، أو تلبسين كف البايسبول. حتى إنك قد تذهبين ببذة معدنية إذا لم يتغير شيء إلى ذلك الحين".

"أجل، قد أقوم بذلك". ثم رسمت ابتسامة عريضة على وجهها وقالت بخجل: "أعتقد أنه لا بأس بمظهرك". وكما هو حال والدتها، بدت فخورة به.

قالت الوالدة: "يبدو مظهره أكثر من لا بأس بكثير". وهي تقف على أطراف أصابعها لتقبّله، بينما كان بوبي آتياً من المطبخ محدقاً بهم، ثم التقطت صورتين لجوني بسرعة قبل أن يعترض.

"كيف أبدو بالنسبة إليكَ يا بطل؟" توجّه جوني بالسؤال إلى بوبي دون أن ينتظر منه إجابة، فيما كان الأخير يراقبه باهتمام. لم يكن والدهم قد عاد إلى البيت بعد. قال جوني وهو يتوجّه نحو الباب: "من الأفضل لي أن أذهب لأصطحب بيكي وإلا تأخرنا". فيما كانت أمه وأخته تنظران إليه بإعجاب، ثم استدار ليودّعهما. بعد دقيقة، سمعوا صوت سيارته تبتعد.

كانت بيكي تنتظر عند مدخل البيت الأمامي مرتدية الثوب الذي اشتراه جوني لها والمصنوع من الستان الأبيض. كان عاري الكتفين ويرسم جسدها بدقّة، فوصفتها أختها عندما رأتها بشعرها الأشقر الطويل المعقوص إلى الخلف وحذائها العالي الكعب المصنوع من الستان الأبيض، والذي كانت قد اشترته بنفسها، بأنها أميرة من الخيال. وضع جوني الوردة البيضاء على صدر ثوبها، فابتسمت له بحب عارم، فانحنى ليقبّلها حينئذ وأخواها واقفان قربهما يصرخان ويضحكان. بعد ذلك خرجت والدتها من المطبخ مبتسمة لها.

قالت بام آدامز بابتسامة حب: "تبدوان متألقين كنجمي غلاف إحدى المجلات". إذ بدت بيكي أجمل من أي يوم مضى، وبدا

جوني أكبر من عمره. "استمتعا بوقتكما، فهذا حفل تخرجكما المدرسي الوحيد والذي سيكون يوماً ما ذكرى مهمة... استمتعا بكل دقيقة، واجعلا هذا المساء مساء لا تنسيانه أبداً". بدت لها كل لحظة غالية على قلبها الآن. لقد أيقنت ذلك في النهاية؛ بأن الذكريات هي كل ما لديها.

قالت بيكي: "سنفعل يا أمي". ثم قبّلت والدتها على خدها، وغادرت.

قالت واعظة إياه: "قُد بحرص". ووعدها جوني أن يفعل ذلك، كما كان يفعل دائماً، فلطالما كان إنساناً حسّاساً ومسؤولاً. لذلك لم تكن قلقة بشأنه، كان ذلك مجرد كلام يقال وحسب.

التقى بيكي وجوني بعدد من أصحابهما في مطعم قريب، وتبادلت الفتيات الإعجاب بأثواب بعضهن، والتي كانت تزين صدورها الورود البيضاء نفسها التي تضعها بيكي على ثوبها، والتي يثبّتها الشباب على طيّات ياقاتستراتهم. بدا الجميع سعداء ومتحمسين. وعندما توجهوا إلى الحفل في تمام الساعة الثامنة والربع، كانوا جميعاً في مزاج جيد. ورافق بيكي وجوني في السيارة ثنائي كان قد أوصلهما أحدهم إلى المطعم. وعند تمام الساعة التاسعة، وصلوا إلى الحفل الراقص.

لقد كانت الليلة مسلية للجميع، إذ كان هناك فرقة تعزف الموسيقى معظم الوقت، إضافة إلى أحد الخريجين الذي كان يقوم بتشغيل الموسيقى والأغاني بين الفقرات. كانت الموسيقى جيدة والطعام وفيراً، وتناول عدد قليل منهم الشراب، فيما فضّل معظمهم المحافظة على وعيهم. كانت ليلة ممتعة للجميع عمّت فيها

مشاعر الحب المكان، دون أن يخلو الأمر من بعض النقاشات والجدل وإشكال واحد بين اثنين من مسببي المشاكل، لكن سرعان ما انتهى ذلك، لتنقضي الليلة دون منغّصات تُذكر. عند منتصف الليل، وبعدما انتهى الحفل الراقص، وقف الجميع في الخارج يتشاورون حول وجهتهم المقبلة. كان هناك مطعم يشبه الحافلة يفتح طوال الليل قريب من مكان تواجدهم، فقرّر بعضهم تناول البرغر، فيما قرّر بعض الشباب الذهاب إلى حانة محلية واستخدام هويات مزيفة ليتمكّنوا من تناول الشراب.

رقص جوني وبيكي معظم الحفلة وتحدثا إلى الأصحاب. وعند نهاية الحفل، ودّعا الجميع، واستعدا للذهاب إلى مطعم جو الشبيه بالحافلة لتناول البرغر والشراب بصحبة مجموعة كبيرة من أصحابهما، وعرضا على الثنائي الذي رافقهما إلى الحفل أن يرافقهما إلى المطعم. وعند الساعة الثانية عشرة والنصف، كان جوني يقود بعيداً عن المدرسة حين ظهرت سيارة مكشوفة فيها مجموعة من شباب فريق كرة القدم أرسلوا القبلات باتجاه الفتاتين، وصاحوا بجنون، وسألوا جوني إذا كان يرغب في التسابق معهم، فهزّ رأسه مبتسماً، لأنه ما كان ليفعل ذلك، خصوصاً في ليلة كهذه ومعه فتاتان في السيارة. وعندما حيّاهم مودّعاً، مروا بسيارتهم المكشوفة والتفّوا بسرعة عند التقاطع التالي متوجهين نحو الحانة الوحيدة في البلدة التي توفر الشراب للقاصرين.

كانت بيكي والفتاة الأخرى تتحدثان وتضحكان وتثرثران، بينما كان جوني يخبر الفتى في المقعد الخلفي قصة أحد الفتيان في فريق كرة القدم حين رأى وميضاً بطرف عينه، وسمع صوت بوق

سيارة مرتفعاً، وصرير عجلات. وعندما نظر باتجاه الضوء، رأى السيارة المكشوفة نفسها تتوجه نحوه بسرعة ثمانين ميلاً في الساعة من الاتجاه ذاته الذي مروا منه قبل دقائق. كانوا يصرخون بجنون فيما كانت السيارات الأخرى تحاول تفاديهم. داس جوني بقوة على المكابح لكنه أدرك فجأة، وبينما كان يفعل ذلك، أنه لن يتمكن من إيقاف السيارة في الوقت المناسب رغم محاولته تفادي السيارة المسرعة المتوجهة نحو الإشارة من الجهة الأخرى. فصرخت بيكي.

ما حصل بعد ذلك كان مفجعاً للجميع: كان هناك اصطدام قوي، تبعه صوت تحطم زجاج، وتهشيم حديد. قالت إحدى الفتاتين لاحقاً إنه بدا وكأنهم ارتطموا بالحائط. وسرعان ما أحاطتهم سيارات الشرطة والإسعاف، كانت السيارة المكشوفة متوقفة وسط المعمعة بعد أن طار الشباب الذين كانوا فيها عالياً وسقطوا على أسقف سيارات أخرى وفي الشارع. أما سيارة جوني فقد دارت في مكانها مثل البلبل. لقد حاول كل ما بوسعه ليوقفها، لكنها في النهاية توقفت بين قاطع الطريق وشاحنة مارة. ساد المكان صمت رهيب. وقال شاهد لاحقاً إن باب السيارة من جهة بيكي كان مجعداً كالورقة، وعندما نظر إلى داخل السيارة سمع أنيناً مصدره المقعد الخلفي وبدت له بيكي بثوبها المخضب بالدماء فاقدة للوعي، أما رأس جوني فقد كان منحنياً فوق مقود السيارة.

كانوا جميعاً يضعون أحزمة الأمان، ولم يسمع أي صوت لوقت بدا طويلاً جداً، إلى أن جاء أخيراً رجل يحمل مشعلاً يدوي ونظر إلى داخل السيارة. وعندما وجّه الضوء إليهم، سمع بكاء من

المقعد الخلفي وكذلك صوت سيارات الإسعاف الآتية من بعيد، فخاف أن يمسّ أحداً منهم، لذلك تراجع بينما كان يراقب الناس يحاولون الخروج من السيارات بصعوبة. كان هناك أيضاً حوالى ستة أشخاص يجلسون إلى جانب الطريق مضرجين بالدماء ومصابين بالذهول. خمس سيارات وشاحنة اصطدمت في الحادث، وقال أحدهم إن سائق الشاحنة قد مات. كان هذا كل ما استطاع أن يخبر المسعفين به.

قال مشيراً إلى سيارة جوني: "هناك مجموعة من الشباب المصابين في السيارة المتوقفة هناك، أظنني سمعت أحدهم يبكي... أعتقد أنهم بخير". قال ذلك فيما كان يعود إلى سيارته. هرع المسعفون باتجاه سيارة جوني في الوقت نفسه الذي وصلت فيه سيارتا إسعاف إضافيتان إلى مكان الحادث بصحبة فريق إطفاء. وسرعان ما امتلأ المكان بالمسعفين والأضواء المتلألئة، يتفقدون السيارات، ويقومون بالإسعافات الأولية، ويساعدون الناس على الخروج من السيارات. خلال دقائق، كانت هناك أربع جثث مغطاة ومصفوفة على جانب الطريق، بينها جثة سائق الشاحنة. وبينما كان المسعف يساعد بيكي على الخروج من مقعد السيارة الأمامي وهي مصابة بالذهول وهناك جرح بليغ في وجهها الذي كان ينزف دماً على ثوبها، أبعد مسعف آخر جوني بهدوء عن مقود السيارة وتفقد نبضه. أما الفتاة والفتى الآخران اللذان كانا يجلسان في المقعد الخلفي، فقد تم سحبهما من جانب مقعد بيكي في السيارة وقد بدا وكأنهما مضعضعان دون أن يصابا بأي أذى. وجّه المسعف الضوء إلى عيني جوني فيما تم نقل الثلاثة الآخرين، وتفقد نبضه

مجدداً. ثم نظر إلى وجه الشاب الوسيم في بذته الرسمية السوداء فرأى كدمة قوية على رأسه وهو يسنده على المقعد، فعلم فوراً أنه قد كسر رقبته، وأشار إلى أحد رجال الإطفاء الذي هرع للمساعدة.

قال بهدوء كي لا يسمعه أحد: "الفتى في مقعد السائق ميت". ثم أشار إلى أحد المسعفين ليحضر نقالة ليحملوه بعيداً بعد أن سحبوه من السيارة وغطوا جثته، فاستدارت بيكي بينما كانوا يأخذونه بعيداً.

صرخت في وجههم: "ماذا تفعلون؟ لماذا تفعلون هذا؟ أبعدوا هذا الغطاء عن وجهه!" وركضت باتجاههم والدم ينزف على ثوبها الذي بات أعلاه مغطى باللون الأحمر. أسرعت باتجاه جثة جوني، وحاولت نزع الغطاء عنه، إلا أن أحد المسعفين أبعدها. ثم حاولت الإفلات من يديه بقوة فيما كانت تجهش بالبكاء.

قال بهدوء: "تعالي معي، أنت بخير... تعالي واجلسي... علينا أن نأخذك إلى المستشفى". قال وهو يمسكها بقوة من ذراعيها لأنها كانت في حالة هستيرية؛ كانت تبكي وتخدش وجهه محاولة دون جدوى الإفلات من قبضته. "يجب أن أذهب إلى جوني... يجب أن... يجب أن...". ثم بدأ نفسها يضيق بينما كانت تشهق بالبكاء عندما أتى أحد رجال الإطفاء وضمها بين ذراعيه. "إنه جوني... لا يمكن له أن... لا يمكن... يا الله... لا...". وانهارت عند الرصيف مجدداً، فحملها رجل الإطفاء بسهولة ووضعها في سيارة الإسعاف. وبعد لحظات، ابتعدوا عن المكان.

استغرق الأمر حوالى الساعتين لإعادة الأمور إلى نصابها؛ إسعاف المصابين، وإيصال الناجين إلى منازلهم بواسطة رجال

الشرطة، والاتصال بأهالي المصابين. كذلك تم إرسال الجثث إلى المشرحة، تقاسم ثلاثة ضباط شرطة وشرطي سير فيما بينهم لائحة عناوين المنازل التي عليهم إبلاغ أهلها. وكان سائق الشاحنة من خارج الولاية، لذلك كل ما كان عليهم فعله هو إبلاغ شركة الشحن التي بدورها ستتولى الأمر.

كان ضابط الشرطة المكلّف بالذهاب إلى بيت جوني يعرف من يكون أهله لأن ابنته في صف شارلوت. لقد أدى مهمات مؤلمة كهذه من قبل، وكان يخشى مما سيراه على وجه والدة الفتى، فهو يعلم كم كان جوني فتى رائعاً. وعندما وصل عند الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل، قرع الجرس مرتين. أخيراً، أتى جيم بيترسون إلى الباب مرتدياً ثياب النوم وكانت أليس تقف خلفه بثوب نوم قديم. بدا الرعب جلياً على وجهيهما لدى رؤيتهما ضابطاً عند الباب.

"هل هناك خطب ما أيها الضابط؟" فهما لم يواجها يوماً مشكلة مع جوني، لذا بدا صعباً تصور أنه قد تم توقيفه الآن. فتساءلا إذا ما تم توقيفه لتجاوزه السرعة، أو لأنه كان ثملاً. إلا أن أي من هذين الاحتمالين بدا صعب التصديق.

قال مخاطباً كليهما: "أخشى ذلك". سأل بحذر: "هل يمكنني الدخول؟" بينما ابتعد والدا جوني جانباً دخل الضابط إلى غرفة الجلوس ووقف هناك متجهماً. قال: "لقد حصل حادث سير". بينما حبست الأم أنفاسها، وأمسكت يدها لاشعورياً بذراع جيم، وشدّت عليه بقوة. "لقد قتل ولدكما. أنا آسف، سيدتي... سيد بيترسون... لقد كان حادث اصطدام بين ست آليات، ونتج عنه عدد من القتلى، ويؤلمني جداً أن أخبركما أن ولدكما من بين هؤلاء".

قالت أليس: "يا الله... ". وشعرت بموجة ذعر عارمة تنتاب جسدها كله وهي تحاول استيعاب ما سمعته، "يا الله... لا... لا يمكن... هل أنت متأكد أنه ليس هناك خطأ ما؟" لم يكن جيم قد تفوه بأي كلمة حتى تلك اللحظة، إلا أنّ الدموع انهمرت على وجهه.

"اصطدمت سيارة بسيارته، ودفعت بها بين قاطع الطريق وشاحنة. لا أعتقد أنه كان بإمكان ولدكما تفادي الحادث. إنه لأمر مفجع أن نخسر شاباً مثله. أعلم ما تشعران به". أرادت أليس أن تقول له إنه يستحيل أن يعلم حقيقة ذلك، لكنها لم تستطع الكلام. كان عقلها يدور بشكل مشوش، وكانت على وشك الإغماء حين ساعدها الضابط في الوصول إلى مقعد. "أترغبين بكوب من الماء، سيدتي؟" هزّت رأسها بصمت فيما انهمرت الدموع على وجنتيها.

حشرجت أخيراً: "أين هو الآن؟" وهي تتخيله ممدداً على جانب الطريق في مكان ما أو في سيارته، وودت لو أنها تستطيع ضمه بين ذراعيها أو أن تموت معه. لم تكن قادرة على التفكير.

"لقد أخذوه إلى محقق وفيات البلدة (موظف مهمته الرئيسية التحقق من أسباب الوفيات المشتبه بها). عليكما القيام ببعض الترتيبات من أجله، ونحن سنقدم كل مساعدة ممكنة". هزّت رأسها ثانية فيما سار جيم بيترسون برجلين مرتعشتين إلى المطبخ ليعود وبيده شراب بدا وكأنه ماء، إلا أنه لم يكن ماء، أدركت أليس من نظرة الرعب في عينيه حقيقة ما كان يشعر به؛ إنه يشعر بالصدمة، تماماً مثلها.

ظلّ الضابط معهما لمدة نصف ساعة إضافية ثم غادرهما بعد أن كرّر أسفه لمصابهما. كانت الساعة حينها قد تجاوزت الرابعة. جلس الاثنان في غرفة الجلوس يحدقان ببعضهما، دون أن يعلما ما يجب أن يفعلا أو يقولا. لكنه تمكن أخيراً من ضمها بين ذراعيه وجلسا سوياً جنباً إلى جنب على الأريكة، وأجهشا بالبكاء. بقيا كذلك لساعات دون أن يتفوها بكلمة عندما أحضر جيم مزيداً من الشراب، وتمنّت أليس لو أنها تستطيع أن تجد عزاءها في ذلك أيضاً. لم يكن هناك من شيء يريحها ويخفف من هول صدمتها. وعندما أشرقت الشمس، شعرت وكأن العالم قد انتهى، واستفزها كون ذلك اليوم مشمساً. لم تستطع أن تتخيل العالم دون جوني فيه، أو حياة هو ليس فيها. فقد غادر البيت قبل ساعات مرتدياً بذته الرسمية السوداء ووردة بيضاء مثبتة على طية ياقة سترته، والآن ها هو ميت. إنّ ذلك كذباً، قالت لنفسها، يجب أن يكون الأمر كذلك؛ مزحة قاسية من أحدهم، وإنّ جوني سيدخل إلى البيت في أي لحظة ويبتسم لهما. كانا قد سألا عن بيكي، وأخبرهما الضابط أنها قد نجت بجرح في خدّها، والفتاة والفتى الآخران في السيارة لم يصابا بأي أذى. فشعرا أن قدراً قاسياً قد سلبهما ابنهما بالرغم من شعورهما بالارتياح لأنّ الآخرين بخير، ولم يكن من العدل أن يُقتل جوني دون أن يكون قد ارتكب أي خطأ؛ فهو لم يكن متهوراً أو غير مسؤول، ولم يكن ثملاً، ولم يفعل شيئاً يستحق عليه ما جرى له. لقد كان فتى رائعاً وابناً رائعاً، بطل الجميع وصديقهم، والآن مات وهو في السابعة عشرة من عمره.

اتصلت بهما بام آدامز عند السابعة وهما لا يزالان في غرفة الجلوس، بالرغم من أنّ جيم كان قد تناول مقداراً كبيراً من

الشراب إلا أنه كان لا يزال يستطيع تمتمة بعض الكلمات. أجابت أليس بيترسون على الهاتف، وانفجرت بالبكاء حين سمعت صوت بام.

"يا الله، أليس، أنا آسفة جداً". بكت بام أيضاً. كانت لتوّها قد أحضرت بيكي من المستشفى بعد أن هدأت لأنها لم تكن تستطيع السيطرة على نفسها بعد أن أخذوا جوني من أمامها، فقد كانت ترفض قبول حقيقة أنّ جوني قد مات. وكذلك بعد أن طمأنهم الجراح التجميلي الذي قطّب جرح وجه بيكي بأنه لن تكون هناك أي ندبة ظاهرة. "أشعر بالأسف الشديد لأجلكم جميعاً... ماذا يمكنني أن أفعل لأجلكم؟" لقد تذكرت ما كانت عليه حالها عندما مات مايك. كان الأمر يشلّ التفكير ويصعب تحمله، صدمة وحزن شديدان، وتصورت أن الأمر نوعاً ما أقسى من وفاة مايك كونهما قد خسرا ابناً. "هل يمكنني أن آتي لأساعدكما بالاعتناء بالولدين؟"

قالت أليس بصوت مرتبك: "لست أدري". لأنها غير قادرة على التفكير لصعوبة تصديق ما حصل. ومع أنها لم تكن تتخيل إمكانية التلفظ بتلك الكلمات، إلا أنه كان عليها أن تخبر الولدين أن جوني قد مات. قالت بام بإصرار: "دعيني أحضر. يمكنني الوصول في غضون دقائق". فقد كانت تدرك مدى أهمية إحاطتهما بالأصدقاء في وقت كهذا لأنّ هناك الكثير مما يجب اتخاذ القرار بشأنه والقيام به: عليهم إحضاره إلى بيت العزاء، واختيار تابوت وغرفة، واختيار ملابسه، وإخبار الولدين، وكتابة النعي، وترتيب أوقات الزيارة في بيت العزاء، وترتيب كل التفاصيل المتعلقة بالجنازة في دار العبادة، وشراء قطعة أرض في المدافن، وترتيب

مراسم الدفن، وخلال كل هذا معالجة صدمتهم وحزنهم. كانت بام أكثر من أي شخص آخر تدرك صعوبة هذا الأمر، لقد أرادت أن تفعل كل ما بوسعها للمساعدة. وفي نفس الوقت، كانت قلقة على بيكي أيضاً لأن ذلك سيكون أمراً صعباً للغاية بالنسبة لها. فالحزن الناجم عن الموت حزن يستحيل تحمله في أي سن.

بعد عشرين دقيقة، كانت بام أمام الباب الأمامي للمنزل، دخلت وضمّت أليس بين ذراعيها لبعض الوقت، بينما ذهب جيم ليبدل ملابسه. حضّرت بام القهوة، وبعد ساعة، وبينما كانتا جالستين في المطبخ تبكيان، نزلت شارلوت من الطابق العلوي وهي ترتدي سروالاً قصيراً وقميصاً قطنياً وشعرها منفوش.

قالت بخمول: "مرحباً أمي". نظرت إلى السيدتين وهما تبكيان وتمسكان بأيدي بعضهما، وكان بإمكانها معرفة أنّ أمراً رهيباً قد حصل. ملأ الخوف وجه شارلوت وسألت: "ماذا حصل؟"

نظرت إليها والدتها والأسى يملأ عينيها، ودون أن تقول أي كلمة، مشت باتجاهها وحضنتها.

"أمي، ما خطبك؟ ماذا جرى؟" لقد كانت لحظة في حياتها أدركت فيها بيقين قاطع أنّ كل ما تعرفه وتحبه وتعتمد عليه كان على وشك أن يتغير.

قالت الأم بغصّة في صوتها: "إنه جوني... لقد تعرض لحادث... لقد قتل بعد مغادرته الحفل الراقص". أطلقت شارلوت صرخة ألم وأسى عالية، وناحت لدى سماعها لتلك الكلمات.

"لا... لا... أمي... لا... أرجوك...". تعانقتا وانفجرتا بالبكاء بينما بكت بام بهدوء وهي تراقبهما، وتمنت لو كان باستطاعتها

معانقتهما، إلا أنّها لم ترغب في أن تكون دخيلة. وبعد بضع دقائق، دخل جيم بعد أن استعاد وعيه مجدداً، وجل ما استطاعت أليس رؤيته على وجهه هو آثار الفاجعة. جلسوا جميعاً وبكوا لوقت طويل، أخيراً، صعدت أليس إلى غرفة بوبي الذي كان مستيقظاً ولكنه مستلقٍ في السرير كما كان يفعل في بعض الأحيان، وشعرت أنه اليوم يشعر بأنّ خطباً ما قد حدث، لذلك كان يخفي نفسه في السرير. لكن، حتّى صمته، لن يكون كافياً ليقيه من هول ما حصل.

قالت أمه وهي تحضنه بين ذراعيها لتضبط انفعاله بعدما جلست على سريره: "لقد رحل جوني... ليكون في السماء... كان يحبكَ كثيراً يا عزيزي". قالت ذلك وهي تبكي والصبي بين ذراعيها، وشعرت به يرتعش ثم يتشنج دون أن ينطق بأي كلمة. بعد أن أبعدته عنها لتنظر إليه، رأته يبكي بصمت وألم وانكسار، كما هو حال الجميع. فقد أدرك تماماً أنّ أخاه الذي كان يعشقه قد رحل بعيداً عنهم. ولم يتوقف عن البكاء طوال الوقت الذي كانت فيه والدته تساعده على تبديل ثيابه، ثم نزلا إلى الطابق السفلي يداً بيد. وما تبقى من اليوم كان واحة من الألم.

مكثت بام مع بوبي وشارلوت بينما ذهب جيم وأليس إلى محقق الوفيات. أطلقت أليس صرخة ألم حين رأت ولدها وضمته بين ذراعيها. إلا أن جيم تمكن أخيراً من إبعادها عنه، ثم توجّها بعد ذلك إلى بيت العزاء لإعداد الترتيبات اللازمة. كان قد فات وقت الغداء عندما رجعا إلى البيت. فأعدت بام طعام الغداء للجميع بهدوء، فيما كانت شارلوت تجلس في حديقة المنزل الخلفية بصمت وبوبي في غرفته في الطابق العلوي.

بعدما ذكر الحادث في أخبار بعد ظهر ذلك اليوم، بدأ الناس بالاتصال والتوافد إلى المنزل وإحضار الطعام، وبدت بيكي في حالة يرثى لها حين أتت لزيارتهم؛ كان وجهها مبيضاً وكان عليه ضمادة كبيرة، وكانت تبكي بشكل متواصل طوال فترة تواجدها. أخيراً، اصطحبتها والدتها إلى المنزل بعد أن كررت بيكي أسفها الشديد لما جرى وقالت إنها لن تستطيع العيش دون جوني؛ الأمر الذي عكس إحساس الجميع.

كان اليوم التالي أسوأ نوعاً ما، لأنه ومع مرور كل ساعة، بدأوا يستوعبون ما حصل وبدأوا يعون أنهم لا يحلمون بل الأمر حقيقي، خصوصاً بعد ذهابهم إلى بيت العزاء في تلك الليلة. وفي اليوم التالي، كانت الغرفة التي اختاروها لإلقاء النظرة الأخيرة تعج بالأصحاب والأقارب إضافة إلى فتيان آخرين. كذلك، كان تخرّجه في اليوم ذاته فأعلنوا اسمه ووقفوا دقيقة صمت عن روحه، وبكى جميع من كان في القاعة لأجل عائلته.

كانت الجنازة يوم الثلاثاء، ولم تكن أليس لتشعر بألم أكثر من الذي اعتراها في ذلك اليوم. ومع ذلك، كل ما استطاعت تذكّره هو الزهور، وصوت المنشدين الآتي من مكان ما، وأنها كانت تنظر إلى حذائها. كانت تقبض على يد بوبي طوال الوقت، وكانت شارلوت تبكي دون توقف وكان جيم يجلس بالقرب منهما يذرف الدموع من عينين جامدتين. تحدّث مدير المدرسة في جنازة جوني وكذلك فعل صديقه العزيز. وألقى رجل الدين كلمة تأبين جميلة عن ذلك الفتى المميز وذكائه، ولطفه، وروعته، ومحبة الناس له. إلا أنّ كل الكلام لم يكن

كافياً لتخفيف الألم والعذاب الذي يشعرون به. لا شيء يمكنه تغيير حقيقة أنّ جوني قد مات.

بعد الدفن، بدا لآل بيترسون وكأن العالم قد انتهى. وعندما عادوا إلى البيت، لم يكنِ هناك ما يشعرهم بالراحة في أي زاوية منه، لا شيء يتمسكون به أو يقايضون به. لقد سُلب منهم بلمحة بصر، وبسرعة فائقة، وبشكل مبكر. إنه أمر صعب جداً. لقد ترك غيابه حزناً شديداً وخسارة فادحة، وألماً لا يمكن تحمله. كان عليهم تجاوزه، ومتابعة الحياة من دون جوني. لم يكن أمامهم أي خيار آخر.

في تلك الليلة، ظلّت شارلوت تبكي حتى نامت، واستلقى بوبي بصمت وحيداً في غرفته يبكي حتى أنهكه التعب وغرق في النوم. أما أليس وجيم، فقد بقيا في الطابق السفلي يحدقان في لا شيء، ويفكران في ولدهما المتوفى، ويتصارعان مع استحالة قبول فكرة أنه قد مات وأنه لن يرجع أبداً. لقد كان أمراً لا يمكن التفكير به. لا يُحتمل. لم يرغب أي منهما بالخلود إلى النوم، فقد كانا يخشيان أفكارهما وأحلامهما، فمكثا جالسين هناك طوال الليل. أخيراً، عند الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل، صعدت أليس إلى غرفتها وبقي جيم في الطابق السفلي يتناول الشراب طوال الليل. وفي الصباح، وجدته أليس نائماً على الأريكة وبجانبه زجاجة فارغة. لقد كانت بداية أوقات مريعة بالنسبة للجميع، ولم تستطع أليس أن تتصور أنه سيأتي يوم تكون الحياة فيه قد عادت إلى طبيعتها بالنسبة لهم مجدداً. إذ من الطبيعي أن يأتي جوني إلى البيت في المساء بعد أن ينهي عمله، وأن يذهب إلى الكلية في

الخريف، وأن يتحدث باسم طلاب صفه في حفل التخرج، وأن يكون لاعباً في فريق كرة القدم، وأن تقبّله، وتحضنه، وتنظر إليه، وتبتسم أو تضحك معه، وتمسك يده أو تلمس شعره. لم يكن هناك ما يشير، لا من قريب ولا من بعيد، إلى قبول فكرة أنه قد رحل. وكلما مرَّ يوم، باتت أليس أكثر يقيناً بأنّ حياتهم لن تكون طبيعية مجدداً أبداً.

الفصل الثالث

كان قد مضى شهر على رحيل جوني في الرابع من تموز، وكانت أليس قد ظهّرت صور الحفل الراقص الذي سبق التخرج، ووضعت إحداها في إطار في غرفة شارلوت وأخرى عند بوبي وثالثة في غرفتها. وعندما فعلت، شعرت بصورته مبتسماً وهو يرتدي بذته الرسمية السوداء تحطم قلبها، واعتقدت أحياناً أن رؤية صورته تزيد الأمور سوءاً لأنه بدا وسيماً للغاية وشاباً وحيّاً جداً.

كان الرابع من تموز يوماً حزيناً بالنسبة لآل بيترسون في تلك السنة لأن حفلة الشواء التي كانوا يقيمونها أصبحت من الماضي، وكانت رؤية أصحابهم تذكرهم بالجنازة، ولم يبدُ مناسباً الاحتفال بأي شيء إذ لم يَعد لديهم حافز للاحتفال أو الاستمتاع، ولم يعد هناك ما يستدعي الابتسام. لقد كان الصمت الرهيب يخيّم على منزلهم طيلة الشهر الماضي، وبدوا جميعاً منهكين ومرضى، وهُم فعلاً كذلك لأن الاستمرار بالحياة بالنسبة لهم كان بصعوبة تسلق قمة إيفرست، وعندما كانوا يجلسون إلى طاولة العشاء كل ليلة، كان كل منهم يصاب بالذهول لرؤية ما هو عليه حال الآخرين.

خسرت أليس سبعة كيلوغرامات من وزنها، وظهرت بقع سوداء تحت عينيها، واعترفت لبام آدامز عندما اتصلت بها أنها لم

تكن تنام في الليل، بل كانت تستسلم للنوم عند السادسة من صباح كل يوم لتستيقظ في السابعة أو الثامنة، لقد كانت أحياناً تنام على كرسي. أما جيم فقد كان يستلقي على الأريكة بعد أن يمضي ليلته في تناول الشراب إلى أن يفقد وعيه. أما شارلوت فكانت تبكي باستمرار، كما يفعل الجميع، ولم تكن لديها الرغبة في مغادرة البيت ولم تشارك في مباريات البايسبول طوال الشهر. ومنذ أن تعرض بوبي للغرق لم يشعر بالوحدة أبداً كما يشعر الآن. كانوا جميعاً يشعرون بألم شديد.

قالت بام إنّ بيكي لم تكن أحسن حالاً، إذ لم تتحرك من سريرها في الأسبوع الأول، وعندما عاودت عملها أخيراً، كانت لا تزال تشعر بضيق شديد، فصرفوها من العمل. أخيراً، تمكنت من العمل بدوام جزئي في الأسبوع الأخير إلا أنها ظلّت في حالة بكاء مستمر، ونادراً ما كانت تأكل، وتمنت لو أنها ماتت معه. كذلك، كان بقية أولاد آل آدامز يشعرون بالحزن من أجلها وقلقين بشأنها ويفتقدون جوني، فقد كان صديقهم أيضاً.

قالت بام لأليس بجديّة: "يجب أن تنامي قليلاً، ستتمكنين من ذلك تدريجياً. لقد حصل معي الأمر عينه عندما فقدتُ مايك. وأظنكِ ستمرضين، إن لم تفعلي. هل جربتِ الحبوب المنومة؟" لقد تناولتها لبعض الوقت، إلا أنها لم تحب الإحساس الذي كانت تشعر به بعد زوال مفعول تلك الحبوب، فقررت أخيراً التخلص منها؛ الأمر الذي قالت أليس إنها على اقتناع تام بصحته.

سألت أليس وهي تشعر بالذعر مجدداً: "هل سأشعر هكذا دائماً؟" فقد كان يصعب تخيل قضاء ما تبقى من حياتها في مثل هذا الألم الشديد.

"أعتقد أن الأمر يختلف حين يكون الفقيد ابناً. لن تنسيه أبداً. لكن الأمر سيتغير بالتدريج وستتعلمين كيف تتعايشين مع الأمر. تماماً مثل حالة العرج". فهي لم تتجاوز فكرة فقدان مايك بعد وقد مضى على ذلك عامان. إلا أنها تستطيع الآن الاستيقاظ كل صباح مبتسمة وقادرة على الاهتمام بأولادها. لكنها لم تخبر أليس أنه لم تعد هناك سعادة حقيقية في حياتها، بالرغم من تأكيد أصحابها لها بأنها ستشعر بالسعادة مجدداً يوماً ما. "لن يكون الأمر بهذا السوء إلى الأبد. أليس، لقد مضى على الحادث شهر واحد فقط. كيف حال الولدين؟"

"عاودت شارلي لعب البايسبول أمس، ولكنها انسحبت في منتصف المباراة، إلا أنّ المدرب كان رائعاً معها؛ إذ قال إن بإمكانها أن تفعل ما تشاء، تلعب، تنسحب، أو تشاهد فقط إن أرادت ذلك. وقال إنه يعلم حقيقة ما تشعر به لأنه فقد أختاً له وهو في مثل سنّها".

"ماذا عن بوبي؟"

"إنه في حالة انطواء تام. فهو يستلقي في سريره طوال اليوم، حتى إنه لا ينزل إلى الطابق السفلي لتناول الطعام دون أن أحمله. إلا أنّ جيم يعتقد أنه لا يجدر بي أن أفعل ذلك، لكن". وأجهشت بالبكاء بينما كانت تحاول شرح الموضوع لصديقتها، فقد أصبحتا قريبتين أكثر من أي وقت مضى، وأضحت أليس معتادة على التحدث إليها كل يوم، "بطريقة ما، بوبي وشارلوت هما كل ما بقي لدي. أنا لا أرى جيم أبداً، وعندما يكون في البيت... حسناً... تعلمين كيف يكون حاله... هو يخدر نفسه كي لا يشعر بأي شيء.

حتى إنّه لا يرغب في الحديث عن الأمر. يعتقد أن عليّ توضيب غـرفة جونـي وتوزيع كل ما فيها. أنا لا أستطيع فعل ذلك بعد. وربما لن أستطيع أبداً. فأنا أدخل وأجلس فيها أحياناً. وأشعر أنني إذا جلستُ هناك مدة كافية وانتظرته فسيأتي إلى البيت. حتى إنني لم أبدل مفارش السرير بعد. قد يبدو ذلك جنوناً بالنسبة لك". قالت أليس بنبرة اعتذار، لكن بام كانت تتفهم الأمر تماماً جداً.

"لقـد احـتفظتُ بملابس مايك لما يزيد عن العام، ولا زلتُ أحتفظ ببعض الأشياء المفضلة لديه".

قالت أليس مكتئبة: "كل ما هناك هو أنني لم أكن مهيأة للأمر، ربمـا لن أكون كذلك أبداً. لم يخطر ببالي أبداً أنه قد يموت أو أن يحدث لنا أمر كهذا. صحيح أنه يحصل للآخرين. لم أفكر أبداً أنه قد يحصل لي... أو لأي أحد منا...". لقد كان ذلك تماماً ما شعرت بـه بـام عندما مات زوجها فجأة. لكن فقدان ابن مثل جوني في السابعة عشرة من عمره كان مصيبة أكبر. حتى إن بيكي قالت ذلك أيضاً. فقد ترك جوني الكثير من القلوب المحطمة وراءه دون أن تكـون غلطـته. وقـال بعض الأشخاص لأليس إنها ستشعر بالغضب منه يوماً ما لرحيله عنهم، لكنها لم تستطع تخيل ذلك. إذ إن مـوته لـم يكـن غلطته بالطبع. ومهما كانت درجة تحطمهم لفراقه، لم يكن بإمكانها ولو بأي شكل أن تلوم ابنها.

لقد كانوا جميعاً يخططون للذهاب إلى البحيرة في آخر تموز، لكنهم ألغوا خططهم ومكثوا في البيت. ومع حلول شهر آب، كانت ألـيس لا تـزال تـستيقظ كل الليل. لكن، على الأقل، أصبح جيم يـشرب كمية أقل من الشراب؛ فقد عاد إلى تناول شراب الشعير

المـنكه وهو يشاهد التلفاز في المساء وتوقف عن تناول الشراب القوي. أما شارلوت فعادت للعب البايسبول ثانية، وطلبت أليس من جـيم الذهاب لحضور مبارياتها فقط لتشعر ببعض الدعم، إلا أنه تـذرع أن لا وقـت لديه. وكان بوبي لا يزال يستلقي في سريره معظم الوقت. ورغم كل جهود أليس لإغرائه بالنزول إلى الطابق الـسفلي معهـا وتسليته، إلا أنّه وفي اللحظة التي تدير ظهرها أو تـتحدث علـى الهاتف أو تقوم بأي عمل، كان يعود مسرعاً إلى غـرفته. كـان البيت يبدو كالقبر في الليل؛ كل منهم يخلو بنفسه، يـضمد جـراحه، ويفكّر بجوني. أضف إلى ذلك أنّ أليس كانت تمضي فترة بعد ظهر كل يوم في غرفة جوني.

عندما أمعنت بام النظر إليها في أوائل أيلول، بدا لها أنّ حال ألـيس أسوأ مما كان عليه في حزيران. لقد مضى الآن على وفاة جونـي ثلاثـة أشهر، لكن بالنسبة لوالدته لم يتغير شيء. فهي لا تـزال مفجـوعة كمـا كانت في الأيام الأولى التي تلت الحادث، وبالكـاد كانت تستطيع تبديل ثيابها كل يوم. وعندما تفعل، كانت تلبس الجينز وكنزة بالية. لقد بدا كل شيء فيها بنفس درجة البؤس الـذي كانـت تشعر به. حتى إنّ بام اقترحت عليها أن تسرح لها شعرها، لكن أليس كانت تهز رأسها وتقول إنّ الأمر لا يهمها.

كان الولدان قد عاودا الذهاب إلى المدرسة عندما بدأت أليس تتعـرض لآلام قوية وحادة في المعدة. وأخيراً، أخبرت جيم عن ذلك ذات ليلة وبدا مهتماً.

"من الأفضل لكِ الذهاب إلى الطبيب فوراً". فقد أصبحا أكثر خوفاً على بعضهما الآن بعد أن بات موتهما أمراً وارداً. وأصبحت

أليس في خوف مستمر على شارلوت من أن تتعرض للأذى خلال اللعب أو أن تصدمها سيارة في طريقها إلى المدرسة وهي تركب دراجتها. يبدو أن حصول الأذى بالنسبة لهم أصبح محتملاً.

"أعتقد أنني بخير". قالت ذلك دون أن تكون مقتنعة، فقد كانت تشعر بالخوف على الولدين خصوصاً بعدما عانت شارلوت من صداع نصفي مرتين ذلك الأسبوع، مما استدعى مغادرتها المدرسة وعودتها إلى البيت. أما بوبي، فقد رفض الذهاب إلى المدرسة بشكل نهائي وأقفل باب، غرفته عليه حتى لا يجبروه على الذهاب، فما كان من مدير مدرسته إلا أن طلب منهم أن ينتظروا شهراً إضافياً ثم يروا ما تؤول إليه الأمور.

ازدادت آلام معدة أليس سوءاً في الأسابيع القليلة التالية، إلا أنّها لم تخبر أحداً باستثناء بام إذ كانت تدرك أن عليها أن تبدو أكثر قوة من أجلهم، وكانت بيكي لا تزال في حالة سيئة أيضاً. ومع أنها عاودت العمل بدوام كامل، إلا أنّ كل ما كانت تفعله عدا ذلك هو البقاء في البيت والبكاء في الليل، فهي لم تعد ترى أصحابها بعد الحادث أو تذهب إلى أي مكان. لقد ترك جوني الجميع في حالة يرثى لها.

كان قد مضى على ذهاب الولدين إلى المدرسة مدة شهر عندما استلقت أليس ذات ليلة في السرير محاولة ألا تصرخ بالرغم من شدة الألم الذي كانت تشعر به، الأمر الذي جعلها بالكاد تقوى على التفكير. وما إن نام جيم في السرير حتى بدأت بالتقيؤ، ورأت بقع دم مبيضّة. ومن خبرتها القديمة في التمريض، أدركت مدى سوء حالتها. ومكثت في الحمام وقتاً طويلاً تتقيأ وحين فتحت

الباب، كانت بالكاد تستطيع الوقوف على قدميها. كان جيم مستيقظاً عندها دون أن يكون بكامل وعيه، إلا أنّه تنشط عندما رأى وجهها الذي لم يعد أبيض كما عهده، بل أصبح أخضر.

"أليس، هل أنت بخير؟" كان يجلس حينها في السرير، ويحدّق بها والصدمة تبدو على وجهه.

قالت بهدوء والألم يزداد: "لا". فلم تكن قادرة على المشي، وما إن نظرت إليه حتى شعرت بدوار وانهارت على الأرض ببطء.

"أليس... أليس...". أسرع باتجاهها إلا أنّها كانت قد فقدت وعيها، فأسرع بطلب الرقم 911. إذ بدت له وكأنها ميتة، وكان بإمكانه أن يشعر بقلبه يخفق خارج صدره لقوة دقاته حتى أجاب أحدهم وأخبره جيم عن زوجته المغمى عليها وعن التقيوء السابق لانهيارها. ثم أدركَ حين نظر إليها كم كانت قد فقدت من وزنها وخطر له فجأة أنها قد تموت أيضاً، الأمر الذي لم يكن على استعداد لتقبله. وفيما كان يبلغ الإسعاف، تحركت أليس وبدأت بالتقيؤ مجدداً دون أن تستعيد وعيها بالكامل، لكنه رأى كمًّا كبيراً من الدم المبيّض.

"سنرسل سيارة إسعاف على الفور". بعد دقائق، وبينما كان جاثياً قربها، سمع صوت سيارة الإسعاف فهرع لاصطحاب المسعفين إلى الطابق العلوي، وبينما كانوا يدخلون إلى الغرفة، خرجت شارلوت من غرفتها والرعب بادٍ على وجهها.

سألت شارلوت والصدمة بادية عليها: "ماذا حصل؟" فيما كانت تراقب المسعفين قرب والدتها. حتى إنّ شارلي كان يمكنها

أن ترى أن لون أليس كان رمادياً، وبدأت تبكي بينما كانوا يحاولون إسعاف والدتها التي بدت وكأن الحياة قد غادرتها.

قال بغصة: "لا أدري لقد كانت تتقيأ دماً". ولم يخطر بباله حتى أن يطمئن شارلوت، فقد كان قلقاً جداً على زوجته مما حال دون تفكيره بابنته. لم يكن لديه الوقت لأيّ كان سوى لأليس الآن. كان يريد سماع ما سيقوله المسعفون.

قالوا شارحين: "قد يكون هناك أكثر من سبب، وعلى الأغلب نزيف قرحة معدة. علينا أن ننقلها فوراً إلى المستشفى. هل سترافقنا؟" سألوه بينما وضعوها على حمالة وغطوها. حتى وهي في حالتها هذه، كانت أليس ترتجف بقوة من كثرة الدم الذي خسرته.

"سأجهز فوراً". ثم لبس سرواله وكنزته وانتعل حذاءه دون جوربين، وأمسك الهاتف وطلب بام وأخبرها بما كان يجري وسألها إن كانت تستطيع أن تأتي وتهتم بالولدين حتى يعود إلى البيت. ومع أنه كره أن يفرض عليها ذلك، إلا أنّه لم يخطر في باله أحد سواها في تلك الساعة.

"رافقِها، لا عليك. سأكون مع الولدين في غضون دقائق. لا تقلق بشأن أولادي. بيكي تستطيع البقاء مع إخوتها هنا. اهتم فقط بأليس يا جيم. لقد مضى على قلقي بشأنها وقت طويل". فقد كان واضحاً للجميع كم خسرت أليس من وزنها دون أن يعلّق أحدهم على الأمر، إذ كانوا يعلمون السبب، وكم هو صعب عليها أن تعاود حياتها بشكل طبيعي ثانية. لقد كانت تلك الأشهر الأربعة الأسوأ في حياة أليس منذ رحيل جوني.

ركب جيم في سيارة الإسعاف مع زوجته دون أن يقول أي كلمة للولدين قبل ذهابه، وتقوقعت شارلوت في سرير والديها كالطفلة التائهة. وجدتها بام هناك وحضنتها بقوة. وبعد أن تمكنت أخيراً من ترك شارلي، ذهبت لتتفقد بوبي الذي كان لا يزال غارقاً في سبات عميق، الأمر الذي جعلها تشعر بكثير من الارتياح، فحضرت كوباً من الحليب الساخن لشارلي ونظفت الدم عن سجادة غرفة النوم ثم جلستا إلى طاولة المطبخ تتحدثان لساعات عن صعوبة الحياة وبؤسها من دون جوني، وكم يشعر والداها بالبؤس وكم يتناول والدها من الشراب، وكم كانت والدتها محطمة. وأخبرت شارلي بام أن حياتهم لن تكون كما كانت في السابق أبداً، الأمر الذي أكدته لها بام، ولكنها أضافت أنّ الحياة ستكون أفضل بكثير مما هي عليه الآن يوماً ما، ومع مرور الوقت، ستتمكن أليس من التأقلم مع الواقع الجديد، والاهتمام بهم كما يجب مجدداً. أما في الوقت الحالي، ومع أنّ الألم كان لا يزال يعتصر قلب أليس، إلا أنّها أكدت لشارلي أن هذا مؤقت ولن يكون النهاية.

اتصلت بام بالمستشفى بعد أن وضعت شارلوت في سريرها وتحدثت إلى جيم الذي أخبرها أنهم كانوا لا يزالون يسعفون أليس، وأنه قد تم إعطاؤها جرعة كبيرة من الدواء لتهدئتها إضافة إلى نقل وحدتين من الدم لها. إلا أنّها لم تستعد وعيها تماماً بعد، فقد استعادته لوقت قصير، لكنه في آخر مرة رآها كانت قد غابت عن الوعي ثانية. وأخبرها كذلك أنها في غرفة خاصة قرب العناية المركزة ترافقها ممرضة، وأنّ الأطباء يتفقدونها باستمرار لكنهم لم يسمحوا له بالبقاء معها في الغرفة. كان فقط يمكنه الدخول لرؤيتها

مدة خمس دقائق كل نصف ساعة. وعندما دخل لرؤيتها آخر مرة، بدت أليس في حالة سيئة.

"مـــا الذي يقولون إنها تعاني منه بالضبط؟" بدت بام قلقة جداً بينما كانت تصغي إليه، وهو في حالة وعي تام وقلق يفوق الوصف.

"يـــبدو أنها مصابة بقرحة في معدتها. يعتقدون أنّ النزيف قد توقــف الآن. ولــولا أننا أحضرناها إلى هنا بأسرع وقت، لكانت ماتت".

"أعلم هذا". قالت بام بهدوء. "حمداً لله أنك فعلت".

"شـــكراً لـــبقائكِ مـــع الأولاد، بام". بدا منهكاً. "سأتصل بكِ وأطلعكِ على ما يجري هنا".

"اتـــصل بـــي في أي وقت، سأرفع السماعة بمجرد أن يرنّ الهاتف كي لا يستيقظ الولدان".

قال مجدداً: "شكراً، بام". ثم ذهب ثانية إلى زوجته، فأخبرته الممرضة أنهم قد أعطوها مهدئاً وأنها قد تنام لساعات، لذلك قدّموا لـــه ســـريراً في غرفة الانتظار ليمضي ليلته لأنه لم يكن يريد أن يتـــركها وحـــدها، وبدا ممتناً لعرضهم هذا. وما إن استلقى على السرير حتى غرق في نوم عميق. فقد كان منهكاً بسبب قلقه عليها، وكان الوقت حينئذ قد شارف على منتصف الليل.

كانـــت ألـــيس حينها تنام بهدوء أكبر ولم تتقيأ ثانية وارتفع ضغط دمها قليلاً عما كان عليه من قبل، فأصبحت الممرضة تدخل إليها الآن كل عشرين دقيقة وتتفقد نبضها. ولأنهم كانوا مطمئنين أنهـــا لـــن تموت، تركوها في الغرفة وحدها لمدة عشرين دقيقة. كانت أليس غارقة في نوم عميق ومحملة بأحلام معقدة من دون أن

تعلم إلى أين تأخذها تلك الأحلام. لكن وبعد وقت قليل، شعرت أنّ جونـــي يسير إلى جنبها وقد بدا سعيداً ومرتاحاً، ثم استدار نحوها وقـــال: "مرحباً، أمي". وقد بدا لها تماماً كما كان لدى عودته من منزل بيكي بعد العمل وهي تنتظره على العشاء.

"مـــرحباً يـــا عزيـــزي، كيف حالك؟" كانت أليس متأكدة من تحدثها معه في المنام، ولاحظت كم كان سعيداً وبحالة جيدة، الأمر الـــذي جعلها تشعر بالسعادة وأنها مستيقظة أكثر من كونها نائمة، إلا أنّهـــا كانت تدرك أنه عليها أن تظل نائمة لتراه، وكانت تدرك أيضاً عدم رغبتها في أن ينتهي الحلم.

"أنـــا بخيـــر يا أمي. إلا أنّكِ لا تبدين بحالة جيدة. ماذا كنتِ تفعلـــين بنفـــسك؟" وكان بإمكانها أن ترى القلق في عينيه البنيتين الواسعتين. كان يرتدي قميصا أزرق وسروال جينز وينتعل حذاءه المفضل، وتساءلت كيف أمكنه أن يأخذ هذه الثياب معه. فهي تذكر جيداً، حتى في منامها، أنه دُفن بحذاء آخر وبذلة غامقة اللون. فبدا أمر ثيابه أحجية معقدة لا تستطيع حلّها.

"أنا بخير – أكدت له – كل ما هنالك أنني أفتقدكَ كثيراً". كان يـــساورها إحـــساس غـــريب بأنها لم تكن في الواقع تكلمه إلا في رأسها دون أن تكون متأكدة من كيفية حدوث ذلك.

قال بلطف: "أعلم أنكِ تفتقدينني يا أمي، لكنّ ذلك لا يجب أن يكون سبباً لتنهاري. شارلي حزينة هذه الأيام وبوبي مشوّش".

"أعلم أنهما كذلك. لا أعرف ماذا يجب أن أفعل من أجلهما".

"يجب على والدي أن يبدأ بالذهاب لحضور مبارياتها حتى لو كانت فتاة. فهي رياضية أفضل مما كنت أنا. ولم يعد بوبي يصغي

لما تقولينه له أبداً. يجب أن تفعلي شيئاً بهذا الخصوص يا أمي وإلا ستسوء حاله". فقد أصبح بوبي متوحداً الآن وهي قلقة للأمر نفسه.

"لماذا لا تتحدث أنتَ مع والدك؟" سألته بجدّية، فابتسم. لقد كان يمكنها رؤيته بوضوح تام وعيناها مغمضتان، وكذلك يمكنها سماع صوته في رأسها.

"لا يستطيع سماعي. أنتِ فقط يمكنكِ ذلك". وقد أدركت أن جوني كان محقاً لأنها هي من كان يحلم وليس جيم. "يجب أن تتحسن حالكِ الآن يا أمي. لا يمكنكِ مساعدة أحد قبل أن تساعدي نفسك. يجب أن تتحسن حالكِ وترجعي إلى البيت". كان يمكنها سماع صوته بوضوح لصفاء رأسها.

شرعت بالبكاء وقالت بانزعاج: "لا أريد الذهاب إلى البيت أكره أن أكون في البيت من دونك. إنّ ذلك يحزنني جداً". قالت ذلك بجدّية وكأنّه من شأنه أن يؤثر فيه ويحمله على تغيير رأيه والعودة. "فأنا لن أعتاد هذا الأمر أبداً". وقف يراقبها لوقت طويل دون أن يعلم ما يقول لها وهي تبكي. ووضع إحدى ذراعيه حولها وتمخّطت.

قال مؤكداً: "بلى ستتمكنينَ من ذلك فأنت إمرأة قوية يا أمي".

أجهشت باكية: "لا، أنا لستُ كذلك، لا يمكنني أن أكون قوية من أجل الجميع، والدكَ، شارلي، وبوبي. لم يعد لديَّ ما أعطيه".

"بلى، لديكِ". أصرّ جوني، وحينها سمعت صوتاً في منامها، وكأنه صوت آخر يكلمها. بدا صوتاً آتياً من مكان بعيد، ولم تتمكن من التعرف عليه. ففتحت عينيها لترى من يكون. فإذا بها

الممرضة. وعندما نظرت إليها، اختفى إحساسها بأنها تكلم جوني.

قالت الممرضة بلطف: "لا بد وأنكِ تقضين ليلة صاخبة بالأحلام، أليس كذلك؟" وقاست ضغط دمها ثانية وبدت مسرورة بما رأته، لأنّ الأمور أصبحت أفضل بالنسبة لأليس مجدداً.

ما إن أغمضت أليس عينيها، وعادت إلى النوم ثانية حتى عاودت الحلم، وشعرت بارتياح عندما وجدت جوني ينتظرها في نومها. لقد كان يجلس على حافة حائط قصير يؤرجح رجليه كما كان يفعل عندما كان طفلاً صغيراً. وقفز عن الحائط لمجرد رؤيتها مجدداً، لكنّ الكلام الذي سمعه منها لم يعجبه.

"جوني، أريد أن أذهب معك". لقد أرادت أن تقول له ذلك منذ أربعة أشهر، وتمكنت من ذلك الآن في منامها. لقد كان في لاوعيها منذ زمن دون أن تعي الكلمات أبداً أو أن تعترف بذلك لنفسها. لقد أرادت أن تكون معه لأنها لا تستطيع الحياة من دونه بعد الآن.

بدا جوني مصدوماً وغاضباً في آن واحد: "هل جننتِ؟ وتتركين بوبي، شارلي، ووالدي؟ مستحيل. فهم بحاجة لكِ جداً. أنا لا أقرر هنا، إلا أنّه يمكنني أن أقول لكِ إنّه ليس ثمة من يوافق على الفكرة هنا. انسي الأمر".

قالت أليس بتعاسة: "لا يمكنني العيش بدونك. لا أريد أن أكون هنا".

"لا آبه. لا يزال لديكِ عمل تقومين به. وأنا كذلك". قال وهو أكثر نضجاً مما كان عليه وقت رحيله.

"مــا العمل الذي عليكَ القيام به؟" سألته والدته بفضول، لكنه هزّ كتفيه. كان حينها يجلس على الحائط مجدداً مؤرجحاً رجليه.

"لا أعلــم. لــم يخبروني بعد. لكنّني أشعر أنها ستكون مهمة كبيرة لما أراه والحال التي أنتِ عليها. كيف يمكنكِ أن تكوني هكذا يــا أمــي؟ لم تكوني ضعيفة من قبل". بدا وكأنّ ظنّه قد خاب من استسلام أمّه. ثم رفعت ناظريها لتنظر إلى عينيه المألوفتين وتمنت لــو أنّها تستطيع أن تلمس وجهه، لكن حدسها أخبرها بعدم لمسه. فقد أدركت في قرارة نفسها أنها لو فعلت ستستيقظ من الحلم.

"أنــتَ لم تمت من قبل. لا يمكنني تحمل الأمر، يا عزيزي. حقــاً لا أستطيع". فقفز عن الحائط ووقف يراقبها وهي تقول تلك الكلمات. بدا غاضباً وجاداً جداً عندما استأنف الكلام.

"لا أريد سماع مثل هذا الكلام ثانية. تحلّي بالشجاعة يا أمي!" بــدا وكأنه والد أكثر منه ابن، وبدا ناضجاً جداً أكثر مما عهدته، فشعرت أليس أنه حلم غريب فيه من الحقيقة ما يجعله يبدو واقعياً، وكأنها معه في عالم آخر.

أجابته بنبرة طفلة وبّخها والدها للتو: "حسناً، حسناً، لا يمكنكَ أن تدرك صعوبة أن أكون هنا من دونك". لقد أرادت أن تقول له ذلك منذ أشهر مضت، وشعرت بارتياح لتمكنها من فعل ذلك الآن.

"أعلــم. وأنا كرهتُ الرحيل باكراً. حصل ذلك فجأة. وبيكي المــسكينة، أكــره أن أتــركها أيضاً". بدا منزعجاً عندما فكر في الأمر، وتألمت أليس من صميم قلبها لهذا.

طمأنــته والدتــه: "تبدو الآن أفضل حالاً بقليل". فهزّ رأسه وكأنه يعرف عن الموضوع أكثر مما تعرف هي.

"ستكون بخير. لكنها لا تعلم ذلك بعد. وأنتِ كذلك، وشارلي، وبوبــي، ووالدي؛ إن أنتِ فعلتِ ما عليكِ القيام به لتجاوز الأمر. وإن ذهــب والــدي لحــضور مباريات شارلي، ستتحسن الأمور بدرجة أسرع مما هي عليه. أنتم لا تسهّلون الأمر عليَّ". قال ذلك وقــد بدا التعب والهمّ على محيّاه. ولاحظت أنه بدأ بالاختفاء قليلاً بينما كانت تكلمه، وكأنه قد مكث وقتاً كافياً وقد أنهك.

قالــت بنبرة اعتذار: "أنا آسفة يا عزيزي. لم أقصد أن أخيب ظنك". راجية ألاّ يكون الحلم على وشك الانتهاء وقد شعرت بدنوّ رحيله، وبأنّها ستستيقظ قريباً.

"أنتِ لم تخيبي ظني يوماً يا أمي. وأعلم أنكِ لن تفعلي الآن. حاولي فقط أن تتحسّني وبعدها نتحدث عن الأمور الأخرى".

"متــى؟" أرادت أن تعرف متى ستراه ثانية. فهي لم ترَ حلماً كهذا منذ وفاته.

"قلت لكِ، عندما تتحسنين. الآن، لا أريدكِ أن تقلقي بشأن أي شيء".

"لم لا؟"

"لأنكِ مريضة، وأنا لا أعرف ماهية مهمتي بعد". كان يتحدث بغموض فشعرت بالحيرة بالرغم من أنّهما كانا لا يزالان يتحدثان وهو أمامها حقيقة ملموسة.

"أي مهمة؟"

"لا تقلقــي، يــا أمــي". وقد بدا ناضجاً جداً عند مخاطبتها، فشعرت بارتياح لرؤيته بأحسن حال.

"هل تذهب إلى المدرسة؟"

"أعتقد أنه يمكنكِ تسميتها هكذا. ربما يجب عليَّ أن أكسب قوت جانحيّ". وضحك عندما قال هذا، ثم نفخ لها قبلة واختفى. أرادت أن تركض خلفه، لكنها اكتشفت فجأة أنه لا يمكنها ذلك، وكأنها قد وقفت أمام حائط مسدود يمنعها. راقبته يختفي، إلا أنها لم تشعر بالحزن الذي شعرت به من قبل، وعندما أيقظتها الممرضة في المرة التالية لتقيس ضغط دمها، ابتسمت لها حين استيقظت. فقد كان هذا أجمل حلم رأته في حياتها.

"يبدو أنكِ تشعرين بتحسن، سيدة بيترسون". قالت الممرضة والسعادة بادية عليها. وبعد أن ذهبت، حاولت أليس النوم مجدداً، لكنها لم ترَ جوني في منامها هذه المرة. وفي ذلك الصباح عندما أتى جيم مع الولدين لزيارتها قبل أن يبدل ثيابه ليذهب إلى العمل وهما إلى المدرسة، أرادت أن تخبرهم عن الحلم الذي رأته، إلا أنّها تراجعت عن ذلك لأنها لم تُرد أن تخيفهم، واعتقدت أنه من الأفضل أن تحتفظ بالأمر لنفسها. إذ كان يصعب الحديث عن أمور كهذه مع جيم على أي حال، وكان بوبي يخاف من الكلام عن الأرواح.

قرّر الطبيب إبقاءها في المستشفى ليلة إضافية، وأتت بام لزيارتها بعد ظهر ذلك اليوم، وتحدثتا قليلاً. واتصل جيم وأخبرها أنه قرّر البقاء في البيت مع الولدين تلك الليلة وأكدت له أليس أنها بخير. وعندما نامت في تلك الليلة، رأت جوني في منامها مرة أخرى. لقد أحبت البعد الجديد الذي اكتشفته معه، فودّت لو تنام طوال الوقت. وقد بدا جوني سعيداً هادئ المزاج. تحدثا في أمور كثيرة: بيكي، المدرسة، الوظائف التي أداها طوال تلك السنوات،

والسبب الذي جعل والده مدمناً على الشراب. إلا أنّ كليهما كان يعلم أن ذلك سببه الحادث الذي حصل قبل خمس سنوات، لكن جوني رأى أنه قد مرَّ وقت كافٍ وأنّ على والده التوقف عن تناول الشراب. لقد بدا وكأن جوني قد أصبح يملك من الحكمة ما يفوق سني عمره.

اعترفت أليس لولدها بهدوء: "إنّ قول ذلك أسهل من القيام به. إنّ ذلك لا يعجبني أنا أيضاً، لكنّ الشعور بالذنب سيرافق والدك طالما أنّ بوبي عاجز عن الكلام".

"سيتكلم في أحد هذه الأيام عندما يصبح جاهزاً لذلك. وبعدها، لن يكون لوالدي أي عذر".

"ما الذي يجعلكَ تعتقد أن بوبي سيتكلم؟" فقد فقدت الأمل في ذلك منذ عامين. لقد فعلوا كل ما في وسعهم من أجله، ولم يتحسن أو يتغير شيء. وكانت متأكدة أنّ ذلك لن يحدث الآن.

"سوف يفعل. سترين".

"هل مصدر معلوماتكَ موثوق به أم أنّك تريد إسعادي فقط؟" سألته وهي تبتسم، إذ بدا لها الأمر أفضل بعد أن رأته وإن كان في منام.

"كلاهما. في الواقع، أنا أشعر بذلك في أعماق قلبي. يمكنني سماعه دائماً في رأسي. لطالما سمعتُ صوته".

قالت بحزن، وهي تفكر بابنها الأصغر والصدمة التي تعرض لها: "أعلم هذا. ولا أحد سواك يستطيع سماعه".

"أعتقد أنكِ قد تتمكنين من ذلك أيضاً، إذا حاولتِ". ففكرت في ما قاله وبدا لها ذلك أمراً خطيراً، لأنها لم تحاول ذلك أبداً. كانت

فقط تملأ الفراغ له، ولم يخطر لها يوماً أن تصغي لبوبي في رأسها كما كان يفعل جوني.

"سأحاول عندما أعود إلى البيت". وعدته متسائلة إذا ما كان هذا هو السبب الذي جعلها ترى جوني في المنام، وإن كانت تلك رسالته لها، أو ربما يكون هذا من تأثير الدواء الذي أعطوها إياه في المستشفى فراحت تتخيل أموراً. وشعرت بينما كانا يتحدثان بطلوع الصباح وغياب الفجر، وخشيت أن تستيقظ وتخسره ثانية. لقد أصبحت تكره صباحات الأيام الآن، إذ إنها تستيقظ وثقل كرة حديدية على صدرها عندما تتذكر أن مكروهاً قد أصابهم. وفي غضون ثوان أدركت وهي تفتح عينيها، أنّ جوني قد رحل.

قالت بحزن حين بدأ يبتعد ببطء مجدداً، وكل ما أرادته هو أن تكون معه: "لا أريد أن أفقدكَ ثانية، ألا يمكنني البقاء هنا معك؟"

"بالطبع لا يا أمي، فأنتِ لست ميتة. ولن تكوني كذلك قبل مرور وقت طويل. ما زال لديكِ الكثير الكثير لتقومي به هنا".

تمتمت كلمات بالكاد استطاعت التفوّه بها لشدّة حزنها وألمها: "أفتقدكَ كثيراً".

"أنا أفتقدكِ جداً أيضاً يا أمي. أفتقد بيكي أيضاً، وبوبي وشارلي وأبي... من الصعب التعوّد على عدم التواجد بينكم. لكنّني سأبقى في المحيط لبعض الوقت، حيث أكون قريباً منكم".

"حقاً؟" فاجأها ذلك، فابتسم.

أجاب بغموض: "لديَّ مهمة أؤديها".

بدت مرتبكة. "حقاً؟ مثل ماذا؟"

"لا أعلم. هم لا يخبرونني بالتفاصيل. بل عليَّ اكتشاف الأمر. لكنّني أعتقد أن الأمور بدأت تتجلّى تدريجياً".

"ماذا تعني؟" بدت محتارة مما قاله.

"لست أدري يا أمي. أعتقد أنني أقوم بما أشعر أنه عليَّ القيام به... وعندما يتم إنجاز الموضوع، يمكنني الرحيل". لقد بدا ذلك بسيطاً جداً خصوصاً إذا كان يعلم ما عليه إنجازه في الوقت المحدد.

"لا أفهمك. وماذا يحصل الآن عندما أستيقظ؟ هل سأرى هذا المنام ثانية عندما أعود إلى البيت؟" لقد جعلها ذلك تتمنى أن تنام إلى الأبد، لمجرد أنه يمكنها رؤيته.

ضحك لسؤالها. كانت تذكر تلك الضحكة جيداً وكذلك ابتسامته التي تفتقدها كثيراً. إنه لأمر جميل أن تراه مجدداً، فهي تسعد بالنوم وتتمنّى أكثر من أي وقت مضى ألا تستيقظ أبداً.

أجاب جوني دون أن يأتي على ذكر الحلم: "أعتقد أنكِ سترينني كثيراً".

"متى؟" لقد رغبت بسماع أجوبة ووعود منه حول إمكانية رؤيته ثانية في منامها. فقد شعرت أن الليلتين الماضيتين كانتا هدية منه، وكأنها فعلاً معه.

أجاب والارتياح بادٍ على محيّاه: "الآن".

"ماذا تعني بالآن؟"

"أعني الآن حين تستيقظين".

"سأراكَ حين أستيقظ؟" وودت لو أنها تعلم أكثر من ذلك.

هزّ رأسه ثانية، فحدقت به مرتبكة.

"ما رأيكَ لو تفسر لي الأمر؟"

"حسناً. استيقظي".

"الآن؟"

"أجل، الآن. افتحي عينيكِ".

"لا أريد أن أفتح عيني. إن استيقظت الآن ستختفي، وسيعود كـل شيء إلى السوء الذي كان عليه. أنا أرفض الاستيقاظ". بدت أكثـر طفولية من ابنها، وأرادت أن تشد على عينيها المغمضتين بكل قوّتها.

"اسـتيقظي يا أمي. افتحي عينيكِ". حاولت مقاومة الأمر في البداية، لكنها اكتشفت بعد ذلك أنها لا تستطيع، وكأنه يجبرها على فعل ما يقول. فتحت عينيها بسهولة ولم تتمكن من الرؤية بوضوح في بادئ الأمر في الغرفة المعتمة، لكن بعد أن توالفت عيناها مع نور الغرفة استطاعت أن ترى أو خيل إليها أن جوني يجلس عند آخر سريرها، بادياً تماماً كما رأته في منامها.

قالـت وهـي تنظر إليه بابتسام: "يا الله، إنه حلم رائع. لا بد وأنـه المخدر". فقد كانت مخدّرة بسبب الأدوية التي أعطيت لها. وفكّرت أنها ربما هلوسة وليس حلماً.

أجـاب بـثقة محـاولاً استيعاب الأمر بدوره: "لا، إنه ليس المخدر يا أمي، إنه أنا".

"مـاذا تعنـي أنـه أنـت؟" وبـدأت فجأة تحدق به بعينيها المفتوحتـين. وبالرغم من أنّ الأمر لم يبدُ معقولاً بالنسبة لها، إلا أنهـا لم تعد تشعر أنه حلم أبداً مما جعلها تشعر بارتباك تام. فقد

كـان بإمكانهـا أن تـرى جوني يتحدث إليها، وباتت متأكدة أنها مستيقظة، الأمر الذي كان في غاية الغرابة.

"تمامـاً مـثل ما قلتُ لكِ، أمي. إنه أنا. الأمر جميل يا أمي، ألـيس كـذلك؟" بدا متحمساً، وبدت الصدمة واضحة في عينيها، وأصبحت فجأة تتساءل إن كانت تتخيل. لعل الحزن على فراقه هو الذي دفعها إلى هذا.

قـال محاولاً أن يفسر لها بينما كانت حدقتا عينيها تتوسعان أكثر: "سأعود إلى حياتك لبعض الوقت من خلال الطيف يا أمي. أعتقد أنه نوع من اتفاق خاص. أخبرت أن ذلك يحصل لأشخاص رحلوا فجأة وعليهم أن يسوّوا بعض الأمور العالقة. كل ما أعرفه هو أنه عليَّ أن أصحح الأمور. لكن لا أعرف كيف أفعل ذلك، أو بالضبط لمن. أعتقد أنه عليَّ أن أكتشف ذلك بنفسي".

حدّقت به بنظرة صارمة ومرتبكة في آن، متسائلة ما إذا كان يتعاطـى المخـدرات حيث هو الآن. وبدا لها الأمر وكأنه تجربة خارج جسدها تضمنت جوني، وبدا هو سعيداً، مرتاحاً ومسترخياً.

كانت تحدث نفسها حين دخلت الممرضة إلى الغرفة: "أنا لا أفهم ما يجري. ما زلتُ أعتقد أنه من تأثير المخدر الذي أعطوني إياه في المستشفى". اختفى طيف جوني كأنه لم يكن موجوداً أبداً. لكـنها في هذه المرة لم تشعر بالحزن، فقد بدا حقيقياً جداً. ولأول مـرة، لـم تـشعر بثقل خسارتها الفادحة بل شعرت بسعادة غير مبررة.

سـألت الممرضة بفرح: "كيف حالكِ اليوم؟" وكانت مسرورة لإحـساسها مـرة أخرى بقوة نبض أليس. مكثت بضع دقائق ثم

غادرت الغرفة. أغمضت أليس عينيها وهي تفكر بولدها وعندما فتحتهما، كان طيف جوني يقف إلى جانب سريرها وهو يبتسم.

قالت مبتسمة له: "لا يمكن أن يحصل ذلك بالفعل. لكنني أستمتع بكل دقيقة. أين ذهبت؟"

"لا يمكن لطيفي التواجد في مكان فيه أشخاص غيركِ. لقد أخبرتكِ يا أمي، أنا هنا فقط من أجلك".

أضافت وهي تتثاءب من دون أن تزيح ناظريها عنه: "أتمنى لو تكون كذلك فعلاً". وقد بات فهم الأمر أشد صعوبة، لكنها تشعر بتحسن أكبر. لقد كان رائعاً جداً رؤيته أو الاعتقاد أنها رأته.

"أنا هنا من أجلكِ يا أمي. ثقي بي. لقد قلتُ لكِ إنّ ذلك ممكناً".

أجابت بتوتر، وكأنّ أمراً خارجاً عن سيطرتها أو حتى عن سيطرة ولدها على وشك الحصول: "ماذا تقول لي؟"

"أعلم أن ذلك يبدو غريباً بالنسبة إليكِ. وقد بدا لي كذلك في البداية. لقد عاد طيفي مجدداً، لبعض الوقت، لأقوم بعمل معين، لأنني عندما رحلت، رحلت بسرعة، من دون أن أتمّ الأمور حتى نهايتها. لذلك عدتُ لأنجزها. ليس من أجلي، لكن من أجل الجميع كما أعتقد. أنتِ، بوبي، شارلي، أبي، بيكي أيضاً، وربما والدتها... لديَّ الكثير لأقوم به، لكنني لا أعرف بعد كيفية قيامي بذلك".

"هل ما تقوله يعني أنك ستعود إلى...؟" انتصبت جالسة في السرير وحدقت به، وهي تدرك هذه المرة أنها ليست نائمة.

أجاب والسعادة بادية على محيّاه: "بطيفي فقط لبعض الوقت".

"هل ما تقوله يعني أنني حقاً أراك، وأنّ الأمر ليس هلوسة بفعل المخدر الذي أعطوني إياه؟"

ابتسم مجدداً: "لا يا أمي، الأمر مختلف، إنه يتعلّق بعودة طيفي. إنه أمر ممتع. أعلم أنني سأحب ذلك. فقد اشتقتُ إليكم جميعاً".

"أنا أيضاً اشتقت إليك كثيراً" ثم أمسكت طيف يده بحركة لاشعورية، وأخذ يديها بين يديه، فانتابها الإحساس نفسه الذي كانت تشعر به في السابق. لقد بدا بهيئته المعهودة، وكان لا يزال الفتى الوسيم الذي لطالما عرفته، إنه الابن الغالي، إنه ابنها الأكبر.

ثمّ سألت بنبرة شك والدموع تملأ عينيها: "أتعني أنني سأتمكن من رؤية طيفك طوال الوقت مجدداً؟"

"كثيراً جداً، إلا عندما أكون منشغلاً بأمور أخرى. لقد أخبرتكِ، لديَّ الكثير لأنجزه، وكما يبدو لي فالمهمة كبيرة".

"هل يمكن لأحد غيري أن يرى طيفك؟"

"لا، أنتِ فقط. كنت آمل أن تراه بيكي أيضاً، إلا أن ذلك غير ممكن. أعتقد أن عليكِ أن تشكري الله عندما تسنح لك الفرصة لذلك". لم تفعل شيئاً سوى أن تهز رأسها وهي تنظر إليه، فمن يكون في مثل حالها لن يستطيع أن يهضم ما قاله للتو.

أردفت بصوت منخفض بأنها ستفعل. ثم عاودها الشك مجدداً. "ألا تعتقد أنني قد جننت... أو أنهم يعطونني جرعات كبيرة من المخدر؟ سأتوقف عن تناوله بعد عودتي إلى البيت!"

"أنا معكِ، أمي. لم لا ترتاحين قليلاً؟ لديَّ بعض الأعمال لأنجزها. سأراكِ بعد عودتكِ إلى المنزل". انحنى الطيف وطبع قبلة دافئة على وجهها واختفى. ابتسمت له، وللحظة اعتقدت أنها فقدته مجدداً، إلا أن الأمر لم يكن كسابقه. فهي تدرك أنها لم

تخسره، من دون أن تكون أكيدة من حقيقة ما جرى. في كل الأحوال، لقد كانت تشعر بارتياح أكبر مما كانت تشعر به خلال الأشهر الماضية.

استلقت على سريرها وهي تفكر فيه وتستذكر كلامه، مستمتعة بالدفء الذي خلفه وراءه. وما إن أغمضت عينيها، حتى جرى طيف ابنها في مخيلتها، وتذكرت قبلتَه ولمستَه وهمست: "شكراً".

بعد ذلك، قدّموا لها وجبة الفطور، فأكلت بشهية كانت قد فقدتها في الأشهر السابقة: الشوفان والخبز المحمّص والقهوة وبيضة مسلوقة. لن تكون حزينة بعد اليوم، وكانت تراودها الرغبة في الابتسام والضحك في كل مرة كانت تفكر به. لم تعد محطمة القلب أو مهزومة أو مكتئبة، لقد كانت تشعر بسعادة لم تشعر بها منذ سنوات. فقد ظنّ الطبيب أن شفاءها معجزة. ومع ذلك كان لا يزال يريدها أن تأخذ الدواء الذي وصفه لها إلى أن تلتئم قرحة معدتها، وبعد أن فحصها بدقة قال إنه يمكنها أن تعود إلى المنزل. فابتسمت حالما قال تلك الكلمات لأنها كانت تعرف من سيكون بانتظارها. وإن كان كل ذلك حلماً، واتضحَ أنه كذلك في النهاية، إلا أنها كانت تدرك بيقين تام أنه أفضل حلم رأته في حياتها.

الفصل الرابع

بعد ظهر ذلك اليوم، وصل جيم لاصطحاب أليس من المستشفى خلال استراحة غدائه في العمل، وأوصلها إلى البيت. كانت في حالة معنوية جيدة وأقوى قليلاً مما كانت عليه. وقد وعدت طبيبها أن ترتاح. لدى وصولها، سارعت إحدى جاراتها لزيارتها، وأتت بام بصحبة بيكي التي كانت تتبع حمية معينة مساء تلك الليلة، وحضّرت شارلوت العشاء للجميع.

وضعت أليس عليها ثوب الحمام ونزلت إلى الطابق السفلي. في تلك الليلة، تناول جيم الطعام معهم، ومكث قليلاً قبل أن يختفي في غرفة الجلوس مع ست زجاجات من شراب الشعير. ساعدت أليس شارلوت في غسل الصحون وتوضيب المكان وجلس بوبي بصمت إلى طاولة المطبخ يراقبهما. فهو لم يحرك ناظريه عن والدته منذ عودتها إلى البيت. لقد شعر بالرعب عندما أدرك أنها قد رحلت وأيقن أنها لن ترجع ثانية. وعندما صعدت إلى الطابق العلوي مجدداً، لحق بها وجلس عند آخر سريرها.

"لا بأس يا عزيزي، لن أذهب إلى أي مكان. أنا بخير. صدقني". إذ كانت لا تزال ترى في عيني بوبي الكبيرتين الزرقاوين أنه لا يزال خائفاً لأنّ ذكرى رحيل جوني فجأة لا تزال

حية في أذهانهم جميعاً، وبالتحديد بوبي الذي جاء بعد قليل ليجلس بالقرب منها على السرير ويمسك بيدها.

وبعد أن وضعت بوبي في سريره، سمعت صوتاً في غرفتها، فظــنت أن شارلوت قد دخلت لاستعارة ما تلبسه كما تفعل أحياناً. كانــت أطــول من أليس وأرفع، إلا أنها ومع ذلك كانت لا تزال تــستعير حــصة وفيرة من الكنزات والإكسسوارات لترتديها مع جينزها المفضل.

"شـــارلي؟" قالــت أليس موجّهة نظرها نحو خزانتها بعد أن عادت إلى سريرها، ثم قفزت عندما رأت طيف جوني يبتسم لها. كـــان يرتدي نفس القميص الأزرق والسروال اللذين كان يرتديهما عــندما رأته في المستشفى، وكان شعره مرتباً كما كان ليلة الحفل الراقص.

"مرحباً، أمي". وانحنى ليقبّلها على خدها، ثم جلس عند نهاية سريرها مثلما كان يفعل كلما أراد أن يتحدث معها.

اعترفت له: "سيستغرقني بعض الوقت لأعتاد هذا الأمر. يبدو لي الأمر خارقاً، أليس كذلك؟"

هزّ رأسه موافقاً وهو لا يزال يبتسم لها: "أجل، إنه كذلك".

"مـــاذا فعلــتَ اليوم؟" سألته كالمعتاد وهي تسند ظهرها إلى الوســادة وتمــتّع عينــيها بالنظر إليه. فقد بدا جميلاً وشاباً وقوياً ومعتداً بنفسه أكثر مما كان في السابق. وكانت تعلو جبينه تكشيرة قلق أحياناً، أما الآن فيبدو بسعادة دائمة. ثم شعرت كم هو غريب أن تــسأله عمـــا فعله في ذلك اليوم لأنها شعرت وكأنه لم يرحل وتوقعت أن يخبرها عن عمله أو المدرسة.

"ذهبت لرؤية بيكي اليوم. بدت حزينة جداً". وبدت عيناه أكثر جدية بينما كان يقول تلك الكلمات. فقد تتبعها لساعات، وراقبها مع الأولاد، وهي تتحدث مع والدتها.

"لقد أتت هي ووالدتها لزيارتي لبعض الوقت".

"أعلم يا أمي. لقد كنت هنا".

"حقاً؟"

هــزّ رأسه وبدا منشغلاً بالتفكير بأمر آخر. قال شارحاً لها: "بوبـــي خائـــف عليكِ حقاً". إلا أنها كانت تعلم ذلك. لم يكن بوبي بحاجة إلى الكلمات ليقول لها كيف كان يشعر إذ إنّ الطريقة التي رافقهـــا فـــيها طوال اليوم أخبرتها كل ما تريد أن تعرفه. لقد كان بوبي مرعوباً من احتمال موتها أيضاً.

أجابــت بدبلوماســية: "أعــتقد أنه كان يخشى ألاّ أرجع من المستشفى. مثلك".

"أعلــم ذلك يا أمي. وشارلي منزعجة لوضع والدي". هزّت ألـــيس رأسها موافقة، إذ لم يكن لديها ما تقوله في هذا الشأن. فقد كانـــت قلقة عليه أيضاً لأن كمية الشراب الذي راح يتناوله باتت أكثـــر منذ وفاة جوني. وكل ما كانت ترجوه أن يخفف من تناوله مجـــدداً. لكن في الأسابيع الأخيرة ازداد الأمر سوءاً، دون بلوغه حدّ الثمالة التي قد لا تمكّنه من الذهاب إلى العمل في اليوم التالي. وقد كان يكثر من تناول الشراب بعد عودته من العمل، ولا يتوقف طـــوال اللـــيل. وعندما يحين وقت ذهابه إلى السرير، يكون غير قادر على رؤية طريقه إلى هناك وجسده في حالة تخدير كامل. لم يكـــن ذلك أمراً مقبولاً لأنه أثّر في الجميع، لكن جيم لم يسمح لها

بمناقشة الموضوع، مما جعلها تشعر أنه ما من شيء قد يغير ذلك. ورغم انزعاجها من الأمر، لم تخبر أحداً أبداً، بل وكانت بارعة في تبرير إدمانه واختلاق الأعذار له، خصوصاً للولدين. إلا أنه لم يكن خفياً على أحد في البيت سبب ما كان يحدث له. أولاً، لقد كاد يتسبب بغرق ابنه الأصغر في حادث جعل الأخير أخرس، ثم فقد ابنه المفضل. لقد كان ذلك يفوق قدرته على الاحتمال أو التفكير. وعندما يشرب، لم يكن مضطراً لأن يشعر أو يفكر بشيء بتاتاً. كان ذلك المهرب المثالي بالنسبة له.

نظرت أليس إلى طيف ابنها بفضول. "ما الذي سيحصل الآن؟" فقد كانت تُفكّر في الأمر طوال اليوم لأنها كانت لا تزال غير متأكدة من أن ما رأته منه كان حقيقة أم خيالاً. لأن ما حصل كان خطيراً جداً، أو يبدو تفسيره أمراً مستحيلاً، وهي لن تحاول ذلك أبداً. وتساءلت عن كيفية سير الأمور وهل سيكون متواجداً معها طيلة الوقت أم أنه سيظهر ويختفي. أغرب ما في الأمر أنهما كانا يتحدثان بطريقة طبيعية، وتساءلت ما إذا كان بإمكان أحدهم أن يسمعهما إن مرّ بغرفتها. لذلك، بات عليهما أن ينتبها لهذا الأمر، وإلاّ سيظن الناس أنها قد فقدت عقلها وتحدث نفسها بما أنهم لا يستطيعون رؤيته.

"أعتقد أن طيفي سيظهر ويختفي، بينما أنجز بعض الأمور. أريد أن أمضي بعض الوقت برفقة بيكي أيضاً". كانت في عينيه نظرة حزن عندما كان يكلمها هذه المرة، لقد تأثر كثيراً عندما رأى كم كانت بيكي تشعر بالقهر في ذلك اليوم، وقد آلمه عدد الأشخاص الذين تأثروا برحيله. الأمر الذي جعل طيفه يعود إليهم.

كان هناك الكثير من الأمور العالقة، الكثير مما لم يتم إنجازه، وأدرك الآن أن عليه القيام بالكثير في وقت قصير.

قام حينئذ عن سريرها وسار باتجاه باب غرفتها ثم توقف هناك مبتسماً لها.

"من الجميل العودة إلى البيت يا أمي". حتى ولو كان لقليل من الوقت. بدا ذلك أفضل لكليهما.

"إنه لأمر رائع وجود طيفك معنا في البيت يا عزيزي. لقد افتقدتكَ كثيراً". إلا أن كلماتها هذه لم تكن كافية للتعبير عن كل ما كانت تشعر به.

قال بهدوء: "أنا أيضاً. سأنزل إلى الطابق السفلي لأرى والدي".

"هل يستطيع رؤية طيفك هو أيضاً؟" استغربت ما قاله، فهي لم تعتقد أنه يمكن لجيم رؤية طيفه أيضاً. ضحك طيف جوني لما قالته: "طبعاً لا يا أمي، أتمزحين، سيصاب بالذهول".

"أجل، أعتقد ذلك أنا أيضاً". وضحكت معه.

"أنا أريد فقط أن أتأكد من أنه بخير، وهناك بعض الأشياء التي أريد أن أبحث عنها في غرفتي. ماذا حصل بسترتي الرياضية؟ لم تعطِها لأحد، أليس كذلك؟"

"طبعاً لا. طلبت من بوبي أن يجربه، أنا أخبئه له، إذ قلت له إنه يمكنه ارتداءه يوماً ما، وتراقص البريق في عينيه. لا يزال أمامه الكثير من الوقت كي يتمكن من ذلك". وتبادلا الابتسام.

"قد ترغب شارلي بارتدائه في الوقت الحالي". قال بكرم، فقد ارتداه هو دائماً لأنه كان فخوراً به.

"لا أعتقد أن والدكَ يحبذ فكرة أن يرتديها أحد غيرك. إنها في خـزانتك. كل شيء لا يزال في مكانه". فهي لم تحرك أو تغيّر أو تعطـي أي شـيء لأحـد. مـع كل ما فيها من ميداليات وأعلام وصور، بدت غرفته مكاناً عزيزاً بالنسبة إليه وهو بالكاد يدخلها، علـى عكـس ما فعلته هي في الأسابيع القليلة الأولى، فقد كانت مسرورة بالبقاء في الغرفة لأنها كانت تشعر أنها جزء منه.

"اخلـدي إلى النوم، سأراكِ في الصباح يا أمي". لقد بدا هذا الأمر تماماً كما كان قبل بضعة أشهر، عندما كان يدخل ليتمنى لها ليلة سعيدة ثم يذهب ليتحدث إلى بيكي وبعدها يذهب إلى غرفته.

"تـصبح علـى خير عزيزي". جلست هناك بهدوء تفكر به، وبعـد بـضع دقائـق دخلت شارلوت. كان شعرها رطباً بعد أن وضعت عليه الجل، ونظرت إلى والدتها باستغراب.

"مـع مـن كنتِ تتحدثين قبل دقائق؟ هل كان والدي هنا؟" إذ كـان كلاهمـا يعرف أن بوبي غارق في نوم عميق. لقد سمعت والـدتها تقـول شيئاً ما بينما كانت تعبر الممرّ إلى غرفتها، ولم تتمكن من معرفة مع من تتكلم.

قالـت ألـيس من دون أن يرفّ لها جفن: "كنت أتحدث على الهاتف. لا يزال والدكِ في الطابق السفلي. لا بدّ أنه قد نام".

أجابت شارلي بنبرة شك: "ما الجديد؟ والد بيغي دوغال كان حاله كحال والدي... وذهب إلى مركز تأهيل المدمنين".

أضـافت أليس موافقة: "والد بيغي دوغال قد زُجّ في السجن لقـيادته وهـو ثمل. وقد فقد وظيفته. فأرسلته المحكمة إلى مركز تأهـيل المدمنين، لذا فالحالتان لا تتشابهان". منذ الحادث، اقترحت

ألـيس هذا الأمر على جيم مرات عدة، إلاّ أنه كان يطردها خارج الغـرفة أو يـصرخ في وجهها. فهو لم يرَ حاجة في الذهاب إلى مركز التأهيل، ولطالما كان يقول إنه يحب أن يستمتع بشرب بضع زجاجات من شراب الشعير. وكانت أليس تدرك أنها لا تستطيع أن تجبره على الذهاب إلا إن كان جاهزاً لذلك. كان الأمر متروكاً له، ولم يكن لديها ما تقوله ليرى ما يراه الآخرون.

"ربمـا ليس كحال والد بيغي، لكن هل حاولتِ يوماً التحدث إلـيه فـي الليل يا أمي؟ فهو لا يمكنه فهم ما تقولينه". وأكثر من ذلك، وفي معظم الأحيان كان يمغمغ كلماته.

"أعلـم يـا حبيبتي". لم تعرف أليس بِمَ تجيب، إذ إنها المرة الأولـى التي تقصد شارلوت بكلامها القول إن والدها سكير، ولم تكـن ألـيس تملك الجرأة لنفي هذه الحقيقة، فلطالما كانت صادقة معهـا. فـإذا كان جيم بحاجة للذهاب إلى المركز، عليه أولاً أن يسامح نفسه على الحادث، ويتقبل حقيقة أنه فقد ولده. لكن ذلك لم يحـصل حتى الآن. فقد كان يعيش في عالمه الخاص ويبعد أكثر فأكثـر عن الجميع. فالابن الوحيد الذي كان يتحدث معه قد رحل، والآخـران لا يعيرهما اهتماماً. أحياناً كانت أليس تتساءل إن كان يعلم حتى إنهما موجودان. فهو لم يتحدث إليهما أبداً، ولم يمضِ أي وقت برفقتهما، مع أنه كان يمضي الساعات مع جوني يحدثه عن الرياضـة والمباريات والفرق الرابحة والخاسرة. لم يعد هناك من يتكلم معه الآن، ولا حتى هي.

"لقد تأخر الوقت يا عزيزتي، عليكِ الخلود إلى النوم، سأذهب لإيقاظ والدكِ بعد قليل وأصطحبه إلى السرير".

تساءلت بشيء من الأسى فيما والدتها تهز رأسها: "ألا يغضبكِ ذلك يا أمي؟"

"لا، أحياناً أشعر بالحزن فقط". هزّت شارلوت رأسها ومشت بتثاقل إلى خارج الغرفة، ثم توقفت تماماً، كما فعل جوني، ووضعت يدها على الباب.

"هل أنت بخير يا أمي؟ أتشعرين بتحسن الآن؟"

"تحسّن كبير". ما رأته في منامها قلب الأمور رأساً على عقب في حياتها، والأدوية خففت من آلامها. والأهم من ذلك، أنها عادت إلى الابتسام. وفي أغرب طريقة، ومن دون أي سبب تستطيع فهمه، عاد طيف جوني إلى البيت، واستعادت الأمل مجدداً.

الفصل الخامس

ظلّت أليس منشغلة في البيت خلال الأيام التالية، إذ كان لديها الكثير لتقوم به، وقد وعدت طبيبها أن ترتاح، وحاولت تنفيذ وعدها بدقة. كان جيم يوصل الولدين إلى المدرسة نيابة عنها، وكانت تقلّهما إلى البيت إحدى الأمهات التي تكفّلت بذلك. أما شارلوت فقد تقبّلت فكرة أن والدتها لن تذهب لحضور مباراة كرة السلة التي ستشارك بها، وتفهّمت ذلك. وكان لأليس متّسع من الوقت، بسبب ملازمتها البيت، لكي تتحدث مع طيف جوني عندما يكون هناك.

وكما قال، كان طيفه يزورها حيناً ويختفي أحياناً، لأنه كان منشغلاً بملاقاة أصحابه وتفقّد مدرسته القديمة. وقد حضر بعض الصفوف مع شارلوت، وأخبر والدته أن شارلوت تُبلي حسناً، إلا أنها كانت تهتم بالرياضة أكثر من الدراسة. وأخبرها أيضاً أنها تحتاج لمساعدة فعلية في مادة الرياضيات، وفيما عدا ذلك، كانت أمورها جيدة.

لكن بوبي كان الشخص الذي يقلقه، فقد زاره في المدرسة أيضاً ورآه منطوياً على نفسه. لا يتواصل مع أحد، ولا يشارك أبداً في أي من الألعاب. حتى في مدرسته الخاصة، كان متوحداً بدرجة

ملحوظة. وحاله منذ رحيل جوني، أسوأ من أي وقت مضى. وقد رجع مؤخَراً إلى المدرسة، تحديداً، قبل مرض أليس.

"ماذا ستفعلين معه يا أمي؟ اعتقدتُ أنه عاود الكلام مجدداً".

ولم يبدُ هناك من فرصة لحدوث ذلك، خصوصاً بعد خمس سنوات. وكان من الواضح أن رحيل جوني قد تسبب في انطواء الصبي على نفسه أكثر.

قالت أليس برجاء: "لا يزال باستطاعته الكلام يوماً ما. ربما يريد أن يقول لنا شيئاً، ولو بسيطاً، يشجعنا على المحاولة". ففي الوقت الحالي، كان يبدو مرتاحاً لحالته تلك.

"ماذا يقول الطبيب؟"

تنهدت وهي تفكر في الأمر. وبدا لها الحال كما كان في الأيام الخوالي حين كانت تتحدث معه. وكان الله يعلم عدم قدرتها على التحدث مع جيم؛ وشارلوت لا تزال صغيرة. "يقول الطبيب إنه لا يتجاوب مع المعالجين، وليس هناك من جدوى لإجباره على ذلك. وفي آخر مرة حاولنا، لم يزد ذلك إلاّ من توحّده. أعتقد أنه لا يستطيع الكلام". وتساءلت أحياناً ما الذي سيجري له حين تموت. قد يتمكن من أن يعيش حياته بطريقته الخاصة يوماً ما، لكن عالمه محدود، وسيكون كذلك دائماً إن لم يخترق الجدران التي بناها كحاجز أمام التواصل مع الآخرين. وفي الوقت الحالي، لم يتمكن أحدهم من إيجاد الباب أو المفتاح.

"عليك أن تصطحبيه إلى مباريات شارلي. كان يحب حضور مبارياتي". قال طيف جوني بحكمة، فيما راحت أليس تفكر بما قاله. إنها فكرة جيدة حقاً.

"لقد كان يحرجها، إلا أنها نضجت كثيراً منذ ذلك الحين، أظنها لن تمانع الآن كما كانت تفعل في السابق".

رافقها الطيف إلى المطبخ حيث أخذت تحضّر فطيرتين من التفاح، قائلاً: "من الأفضل لها ألا تفعل".

سأل: "لماذا فطيرتين؟" وهو يستنشق بعمق رائحة الفطيرة الشهية، فيما دفعت أمه طيفه برفق عن باب الفرن الذي همّ أن يفتحه كي يشمّ الرائحة أكثر.

"فكرت في أن آخذ واحدة إلى منزل آل آدامز بعد ظهر هذا اليوم. لقد كانوا رائعين معنا. بام حضّرت العشاء أكثر من مرة لوالدك حين كنت في المستشفى. وكانوا رائعين كذلك منذ رحيلك". كان من الجنون قول ذلك له، مما جعلها تتوقف عن الكلام وتحدق به، ثم ضحك الاثنان بعدها. "أتدرك مدى جنون هذا الأمر. إن سمعني أحدهم أتحدث إليكَ بهذه الطريقة، قد يحجرون عليّ".

"حسناً، لا يوجد أحد هنا يسمعكِ، ولا يمكنهم رؤية طيفي، لذلك أعتقد أن الأمور لا بأس بها". قال ذلك بينما كانت تتجرّع كمية كبيرة من الدواء الذي وصفه لها الطبيب. لكن منذ عودته بدت حالها أفضل مما كانت عليه منذ سنوات. في الواقع، لعلّ الفضل يعود إليه. لقد بدا تأثير ظهوره مجدداً عليها مذهلاً، إذ جعلها تبدو أصغر بعشرين عاماً. إلاّ أنها كانت تشعر بالأسى لأن الآخرين لا يمكنهم رؤيته ولا التحدث معه أيضاً.

قال بنبرة عادية بينما كان الطيف يتكئ إلى الثلاجة ويراقبها مبتسماً: "كنتُ سأوصل الفطيرة إلى آل آدامز نيابة عنكِ لو كنتُ

أســتطيع ذلــك يا أمي. لكن لا أظن أنني أستطيع القيام بمثل هذه الأعمال".

"مــا يجــري الآن يــا عزيــزي. فــوق قدرة أي كان على الاستيعاب؟"

بــدت والدته ممتنة لهذه الأيام الإضافية مع طيفه. إنها تشكل هدية رائعة، وهي تستمتع بكل دقيقة فيها.

"أعتقد أننا نحتاجها. كم من الوقت سيبقى طيفك معنا؟"

قال بغموض: "على قدر الحاجة".

"لفعــل مــاذا؟" كانت لا تفهم ما سيكون العمل الذي عليه أن ينجزه، غير أنه هو نفسه لم يكن يفهم.

"لا أدري، ربما عليَّ اكتشاف الأمر بنفسي".

كــان طــيف جوني يجلس في غرفة الجلوس يشاهد التلفاز عــندما همّت أليس بالذهاب لتحضر بوبي من المدرسة وسألته إن كان يريد أن يرافقها. تردد لدقيقة، ثم قرّر أن يفعل. وفي الطريق إلى هناك، تحدثا في عدد من المواضيع: أصحابه الذين رافقوه في المدرســة، المــنحة التــي عنت له الكثير، مبارياته المفضلة التي شارك فيها، ذكريات الطفولة التي أصبحت أجمل الآن. لقد جعلها تــضحك مرات ومرات وهو يذكّرها بمشاكساته لها وردود فعلها إزاء تلك المشاكسات. وكانت لا تزال تبتسم عندما صعد بوبي إلى السيارة، وما إن فعل حتى اختفى طيف جوني.

"مــرحباً يا عزيزي. هل كان يومك جيداً؟" هزّ بوبي رأسه؛ لكنه لم يكن كذلك بعد ظهر هذا اليوم. نظر إليها سريعاً، ثم حوّل ناظريه إلى المقعد الخلفي وكأنه شعر بشيء ما هناك. غير أنه لم

يقل أي شيء ونظر إلى النافذة، بينما كانت السيارة تبتعد بعيداً عن المدرسة.

ناولــته بعــض الكعك والحليب عندما وصلا إلى البيت، ثم صعد بهدوء إلى الطابق العلوي عندما رنّ جرس الهاتف. إنها بام، كانــت لا تــزال فــي العمل، لكنها أرادت أن تتحدث معها قليلاً. فأخبرتها أليس أنها حضّرت لها فطيرة التفاح، وفرحت بام لذلك. كما وعدتها أليس أن تزورها بعد أن تعود بام من العمل.

عندما زارت بام، اصطحبت بوبي معها. كان أولاد آل آدامز يلهــون بــين المطــبخ وغرفة الجلوس، وكانت بيكي تحضّر لهم العــشاء وشــعرها الطــويل الأشقر معقوصاً إلى الخلف. وبدت منــزعجة قلــيلاً حينما شمّت رائحة احتراق البرغر. كانت أليس تــشعر أنهــا تزداد جمالاً يوماً بعد يوم، الأمر الذي جعل حزنها مضاعفاً على رحيل جوني. لكانا سعيدين جداً لو تزوجا يوماً ما؛ ولــم تفكر بيكي بأحد غيره منذ رحيله، مع أنها في الثامنة عشرة من عمرها. بدت حياتها معزولة تماماً كحياة والدتها. شعرت بيكي بأنهــا أرملــة أيــضاً ولكن بطريقتها الخاصة، وجلّ ما تفعله هو الــذهاب إلــى العمل ثم العودة إلى المنزل والمساعدة في الاهتمام بالأولاد. حتى إنها لم تذهب إلى السينما ولو لمرة واحدة منذ رحيل جونــي. وأخبرتها أليس أن عليها إيجاد الوقت للنزهة بين الحين والآخر.

"لا أستطيع أن أجعلها تغادر البيت إلاّ حين تذهب إلى العمل". قالــت بام بتذمّر. لقد كانت قلقة بشأنها، إلاّ أنها كانت تقوم بالأمر عينه طوال سنتين إثر وفاة مايك.

"عليكما بالخروج أنتما الاثنتان، في حين أهتم أنا وشارلي بالأولاد". لم تكن أليس متأكدة تماماً إن كانت ستروق الفكرة لشارلوت، إلاّ أنه بدا جميلاً أن يفعلا شيئاً من أجل مساعدتهما على تغيير حياتهما.

تحدثت المرأتان لبعض الوقت، فيما جلس بوبي يراقب الأولاد الآخرين دون أن ينضم إليهم، وهم لم يعرضوا الأمر عليه، مع أن غالبيتهم متقاربون معه في السن. لقد كان بعيداً ومنزوياً، وهم تجاهلوه وكأنه غير موجود.

استدارت أليس عند سماعها صوت ارتطام كبير صادر من غرفة الجلوس، وعندما وصلت، رأت طيف جوني يلحق ببيكي إلى الطابق العلوي. حدّقت أليس به بدهشة لرؤيته هناك. وبعد بضع دقائق، رجعت بيكي لتفقد الطعام. وقف بالقرب منها إلى جانب الفرن، لكنها لم تكن تشعر بوجوده نهائياً، فيما كانت أليس تحاول جاهدة التركيز على ما كانت تقوله بام. لقد كان ذلك يتعلق برجل التقت به في العمل، لكن أليس لم تتذكر أكثر من ذلك. كانت عيناها شاخصتين نحو طيف بجوني الذي كان يراقب بيكي وهي تضيف زبدة إلى أكواز الذرة التي أعدتها، ثم استدار نحو والدته مبتسماً، فقابلته بابتسامة.

تناول آل آدامز العشاء، وبعد دقائق غادرت أليس وبوبي الذي توجه إلى غرفته في الطابق العلوي مباشرة فور وصولهما إلى البيت. أمّا طيف جوني فكان بانتظارها إلى طاولة المطبخ مبتسماً. انتظرت ريثما سمعت باب غرفة بوبي يغلق، ثم وبّخته:"ماذا كنت تفعل هناك؟"

"أزورهم كما كنتِ تفعلين يا أمي. يا الله، تبدو بيكي رائعة".

"كان الأمر غريباً جداً رؤيتكَ بالقرب منها، حتى إنني لم أستطع سماع ما كانت تقوله بام لي". ارتبكت عندما أعادت التفكير في الأمر، وضحك طيف جوني في وجهها.

"أعلم هذا. لو كان لكِ أن تري تأثير ذلك عليكِ، لأصابكِ العجب".

قالت محذرة إياه: "لو سمعني أحد أكلمكَ لظنني مجنونة، لكن ليس لهذه الدرجة، علينا أن نتوخى الحذر". لكنه لم يأبه لذلك.

"بالتأكيد يا أمي، أعلم ذلك". قال ذلك كفتى في السابعة عشرة من عمره. وبعد دقيقة، صعد الدرج مسرعاً باتجاه غرفة بوبي. سرّت أليس بذلك، وإن بدا وجوده في البيت ثانية أمراً غريباً. في هذه الأثناء، وصلت شارلوت بعد أن أنهت تدريباتها ونظرت إلى والدتها باستغراب.

"كيف كان يومكِ؟" سألتها أليس، كما تفعل دائماً. وقد سقط قناع التظاهر بأن الأمور طبيعية.

أجابت شارلوت أنها بخير، وراحت تتفحص والدتها، ثم قررت أخيراً أن تخبرها بما سمعت. "والدة جولي هيرنانديز قالت إنها رأتكِ اليوم تقودين سيارتكِ وتحدثين نفسكِ وتضحكين. أمي، هل أنتِ بخير؟" وتساءلت شارلي إن كان دواء المعدة الذي تتناوله والدتها يجعلها تتصرف بغرابة، لا سيّما وأنها سمعتها تحدث نفسها الليلة الفائتة أيضاً، فادّعت أمها أنها تتحدث على الهاتف، ولسبب ما، لم تصدقها شارلوت.

شرحت أليس: "أنا بخير. كنتُ أتحدث مع بوبي الذي كان مستلقياً في المقعد الخلفي".

"قالت إنكِ كنتِ تقودين باتجاه مدرسة بوبي".

"أعتقد أن الأمر قد التبس عليها". هزّت شارلوت كتفيها مع قليل من الاقتناع. إذ لم تعد والدتها كسابق عهدها، إنها أكثر سعادة مما كانت عليه قبل شهور، وتبدو كمن يشعر بالذنب أحياناً، لكونها قامت بعمل ما كان يجدر بها القيام به. وخطرت لها فكرة مرعبة: هل بدأت والدتها بالشرب أيضاً؟

"كيف كانت المباراة؟"

"جيدة على ما أعتقد، لقد فزنا".

"لا تبدين متحمسة لذلك". قالت أليس وهي تنظر إليها بتمعّن. لم تكن شارلوت تطلب منها الكثير، بل إنها غالباً، لم تكن تجد مكاناً لها بين أخويها، فأحدهما البطل - كما النجمة - في نظر والديها والآخر يحتاج إلى عناية بسبب احتياجاته الخاصة. الأمر الذي جعل عدم الاهتمام بشارلوت وسط ذلك سهلاً. وكانت أليس تعي إلى أي مدى لم يكن ذلك منصفاً، وقد قامت بالكثير للتعويض عن هذا الإهمال، غير أن شارلوت كانت تتحاشى الجميع، حتى والدتها؛ لقد بدت منطوية على نفسها على غير العادة.

"أنا، غير متحمسة لذلك!" قالت شارلوت وهي تهز كتفيها. ثم توجهت نحو الهاتف لإجراء مكالمة.

حضّرت أليس العشاء، وعاد جيم إلى البيت، وبدأ الروتين المعتاد. وكالعادة، لم يكن الاجتماع حول مائدة العشاء أمراً ممتعاً، وانفضّ سريعاً، وعاد كلّ مسرعاً إلى غرفته. جلس جيم أمام

التلفاز، وقبيل صعودها إلى غرفتها بعد أن غسلت الصحون، توقفت أليس دقيقة للتحدث إليه. لقد كان يوماً طويلاً بالنسبة إليها.

"كل شيء على ما يرام في العمل؟" سألته بينما كانت تجلس إلى جانبه على الأريكة.

ردّ بالإيجاب دون أن ينظر إليها أو يعيرها أي اهتمام. "كيف تشعرين؟"

"ممتازة". لقد كان يصعب التصديق أنها كانت مريضة جداً قبل بضعة أيام.

"لا تنسي أن تأخذي الدواء". قال وهو ينظر إليها، وتأثرت باهتمامه. أصبح كلامهما الآن نادراً بعد أن كانا صديقين حميمين، ومغرمين جداً عندما تزوّجا. لكن بعد ذلك، تحوّلت الأمور. فعمله لم يتحسّن أبداً، وبدأ يشرب، بكمية قليلة في البداية، لكنه لم يعد كما كان. ثم وقع الحادث، وانقلب كل شيء منذ تلك اللحظة. وانغلق على نفسه بصورة لم تمكّن أليس من الوصول إليه بعدها. لكنه عندما نظر إليها تلك الليلة، لجزء من الثانية، استطاعت أن ترى ظل الرجل الذي لا تزال تذكره، ولطالما أحبّته.

"أنا سعيد لأنكِ تشعرين بتحسّن. لقد أخفتِني فعلاً، لم أستطع... " بدأ بقول شيء ثم أمسك نفسه عن الكلام. "لقد عانينا الكثير من الأزمات". قال جملته الأخيرة بفظاظة.

"أشكركَ يا جيم". ومالت إليه لتقبّل خدّه، إلاّ أنه لم يعرها انتباهاً ولم يتجاوب معها، ثم قام ليحضر زجاجة أخرى من شراب الشعير وتركها تجلس وحدها. أمضى في المطبخ وقتاً كافياً ليجعلها تستسلم، أخيراً، وتصعد إلى غرفتها وهي تفكر فيه.

تفقّدت ولديها وكانا بخير: كان بوبي يلعب بالكرة في غرفته، أما شارلوت فكانت تنجز فروضها المدرسية. وفيما كانت أليس متوجهة إلى غرفتها سمعت صوتاً في غرفة جوني. فتحت الباب بهدوء، ورأت طيفه واقفاً هناك تحت ضوء القمر يبتسم لها. كان يرتدي سترته الرياضية المفضلة، فدخلت الغرفة، وأغلقت الباب وراءها بحذر.

"ماذا تفعل هنا؟" سألته بهمس. لم يتجرأ أحدهما على إضاءة الضوء لخوفهما من أن يراهما أحد.

"أفتّش بين أغراضي. لقد وجدت صوراً رائعة لبيكي عندما ذهبت معنا إلى البحيرة في الصيف الفائت".

"أرى أنكَ وجدتَ سترتك. لماذا لا تفعل ذلك غداً؟ قد يسمعكَ أحد هنا". لقد تغيّر كثيراً خلال السنوات الأربع الأخيرة حتى باتت لا تناسبه. لكنه كان يحبها لدرجة أنه لم يأبه لكون الأكمام أصبحت قصيرة قليلاً، والكتفين أضيق مما اعتاد عليه.

"أراهن أنه ما من أحد يدخل إلى هنا".

"أنا أفعل". قالت بحزن وهي تنظر في أرجاء الغرفة. أمر جميل أن تراه في الغرفة مجدداً.

"لماذا لم توزّعي أيّاً من الأغراض؟ لقد خشيت أن تكون خالية، أو تكون الأغراض موضّبة في صناديق في مكان ما".

"لم أستطع فعل ذلك". وثبتت ناظريها على عينيه.

"ربما يجدر بكِ فعل ذلك. يبدو محزناً أن أرى كل الأغراض على حالها... رغم أنني سعيد أنكِ تركتِها كذلك من أجلي". ابتسمت، وجلست على السرير ونظرت إليه.

"لم أفكر أبداً أنه سيحصل ما يحصل الآن. لكن كيف يمكنني أن أتخلّص من أغراضك؟ إنها خسارة مضاعفة لخسارتنا إياك".

"الغرفة ليست أنا يا أمي، طيفي معك الآن هنا". قال مشيراً إلى قلبه، "وسيكون الأمر كذلك دائماً، تعلمين ذلك". جلس بقربها ولفّ ذراعه حولها. "أنا لن أذهب إلى أيّ مكان، حتى بعد أن أرجع، سأبقى دائماً معكِ هنا".

"أعلم هذا. لكنني أحب كل تلك الأغراض... صورك، ميدالياتك". كانت رائحته لا تزال تعبق في الغرفة، حتى بقوة أكبر الآن لكون طيفه فيها. رائحته جميلة ونظيفة، رائحة الصابون... وعطر ما بعد الحلاقة. الرائحة التي جعلتها دائماً تفكر فيه، وتمضي بعض الوقت في غرفته.

مكثا يتحدثان بعض الوقت، ثم عادا إلى غرفتها التي كانت دافئة جداً، الأمر الذي دفعه إلى أن يخلع سترته ويضعها على كرسي، فيما تابعا الحديث. دخلت شارلوت فجأة ونظرت إلى أمها باستغراب. لقد سمعت والدتها تكلم نفسها ثانية، وبدأت تتساءل بشأنها. أرادت أن تستعير سترة لتلبسها في اليوم التالي. وبخ طيف جوني والدته عندما غادرت شارلوت الغرفة وعادت إلى غرفتها.

"لا يجب أن تدعيها تلبس ثيابكِ يا أمي. كل ما تريده هو أن تلفت نظر الفتيان في صفها، وكذلك الأكبر منها. دعيها تلبس ثيابها فقط".

"لديها أمّ واحدة فقط. وأنا لديَّ ابنة واحدة فقط يا جوني. لا بأس في استعارتها لأغراضي ما دامت تعيدها".

"هل تعيدها؟" ورفع أحد حاجبيه مستنكراً. فضحكت ونظرت إليه بخجل.

"ليس دائماً".

"انتبهي، إن استعارت سترتي الرياضية فلا أريدها أن تضيعها". فقد اتفقا أن تحتفظ بها لبوبي.

بعد قليل، عاد طيف جوني إلى غرفته مجدداً لتفقدها ثانية. كانت أليس تلبس ثياب النوم عندما دخل جيم إلى الغرفة، وبدا مرتاحاً عندما رأى سترة جوني الرياضية على الكرسي.

"ما الذي جاء بهذه السترة إلى هنا؟"

"أنا... أنا كنتُ فقط أنظر إليها". قالت وهي تدير وجهها عنه حتى لا يلاحظ ارتباكها. إذ كان جيم يعلم عندما تكذب عليه، وهي نادراً ما كانت تكذب.

فقال بحزم: "لا يجب عليكِ أن تدخلي إلى غرفته. كل ما سيحصل هو تكديرك".

"أحياناً، أشعر بارتياح عند دخولي إلى هناك، أجلس مع أغراضه وأتذكره". فهزّ رأسه بينما كان يدخل إلى الحمّام ليرتدي ثياب النوم. لقد كان رجلاً متواضعاً، ولطالما أحبّت فيه ذلك. قبل أن يدمن على معاقرة الشراب، كان هناك الكثير من الأمور التي تحبها فيه. ولسبب ما، في اليومين الماضيين، تذكرت هذه الأمور كثيراً. فبدت وكأنها لا تراه على ما هو عليه الآن، ولكن على ما كان عليه في السابق.

وعندما خرج من الحمّام، ذكّرها جيم بضرورة أن تعيد السترة إلى مكانها في اليوم التالي، وأن تضعها في خزانة جوني.

"لا تدعي الولدين يعبثان بها". قال ناصحاً إيّاها. "سيضيعانها، وقد عنت له الكثير".

"أعلم هذا. أنا وعدتُه أن أحتفظ بها لبوبي". قالت ذلك دون أن تفكر كيف بدر منها ذلك.

بدا محتاراً: "متى وعدتِه بذلك؟"

"منذ وقت طويل. عندما حصل عليها".

هزّ جيم رأسه مقتنعاً بردّها. فقد كره رؤية السترة هناك فقط لأنها تذكّره بما فقدوه ولن يستعيدوه مجدداً. ولو كان يستطيع أن يفعل ذلك لكان أرجعها بنفسه إلى غرفة جوني، لكنه لم يرد الدخول إلى هناك.

استلقى جيم على السرير قربها، وأطفأ النور، وخيّم الهدوء على البيت. لم تستطع أليس أن تمنع نفسها من التفكير في مكان وجود طيف جوني. هل هو في المكان الذي يذهب إليه هذه الأيام عندما لا يكون معها، أم أنه في غرفة نومه يفتش في أغراضه، أو في مكتبه. وابتسمت، مستلقية إلى جانب جيم تفكر في ابنها، وفاجأها جيم عندما وضع ذراعه حولها، إذ نادراً ما كان يفعل ذلك. ففي معظم الأحيان يكون ثملاً لدرجة أنه لا يستطيع التفكير في الأمر أصلاً. وغالباً، عندما يأوي الولدان إلى غرفتيهما يكون هو مستلقياً على الأريكة في غرفة الجلوس، ثملاً. لقد تقبّلت أليس هذا الأمر، فقد كانت حياتهما الحميمة ضحية أخرى لحياتهما وسنين عمرهما المحطمة.

"لا تمرضي ثانية يا أليس". قال بنفس النبرة التي كانت تسمعها في الأيام الخوالي، عندما كان يحدثها وهما جالسان على الأريكة. نبرة تنضح بالحنان والقلق والحب.

"لـــن أفعل، أعدك". هزّ رأسه، ثم استدار إلى الجهة الأخرى ونـــام بهدوء وهو يشخر، بينما كانت تراقبه وتتساءل ما إذا كانت الحياة ستعود إلى طبيعتها ثانية. وبدا أنه من غير المحتمل حصول ذلك.

الفصل السادس

ظـــلّ طيف جوني يظهر ويختفي في الأيام القليلة التالية، متنقلاً بين منزل أهله ومنزل آل آدامز، وهو يمضي وقتاً طويلاً بمـــراقبة بيكي. وبدا حزيناً عندما عاد إلى منزله بعد ظهر أحد الأيام.

"أيـــن كنت؟" بدت بسؤالها والدة لأحد المراهقين وضحك من سؤالها.

"كنتُ في منزل بيكي. كان إخوتها يلعبون بصخب ويثيرون جنونها".

قالت أمه ممازحة: "لا أعتقد أنكَ ساعدتَها على ضبطهم".

"لـــو كـــان باســـتطاعتي لفعلت يا أمي. فكل ما قمت به هو مـــراقبتهم والـــتأكد من أن أحدهم لن يعبث بعلبة كبريت ويحرق المنزل، فهم مشاغبون. وهي لم تذهب إلى عملها اليوم وبقيت في البـــيت لتـــساعد والدتها لأنّ اثنين من الأولاد أُصيبا بالرشح ولم يتمكنا من الذهاب إلى المدرسة. وأنا على يقين أن هذا ليس بالأمر الممتع بالنسبة إلى بيكي، فهي بحاجة إلى أكثر من ذلك في حياتها. وعلى الأقل، عندما كنتُ لا أزال حياً كانت تخرج وتستمتع بوقتها أحياناً. أما الآن، فهي لا تذهب إلى أيّ مكان يا أمي".

"أعلم ذلك، أنا أحدّث بام عن هذا الأمر باستمرار، إنهما بحاجة للخروج أكثر".

"لا أعتقد أن لديهما الوقت الكافي للقيام بذلك". قال جوني. وبالرغم من أنه يكره أن يراها مع أحد غيره، إلاّ أنه كان يعتقد أنها بحاجة إلى صديق. ولم يكن بمقدوره أن يفعل شيئاً في هذا الخصوص، لكنه كان يدرك أنها في الثامنة عشرة من عمرها، ولديها الحقّ في حياة أفضل من التي تعيشها. إن إخوتها مسؤولون منها كما هم من أمها، وأحياناً أكثر، لأن والدتها كانت تمضي وقتاً أطول في العمل. لقد أحزنه أن بيكي لم تعد تستمتع بوقتها أبداً.

"لقد اقترحتُ عليها أن أجالس الأولاد، وأن تشارلي قد تساعدني في ذلك".

"إن كان باستطاعتكِ سحبها من ملعب كرة السلة بين الحين والآخر، الأمر الذي أشك في إمكان حدوثه. ولكن لماذا لا نحاول في المواسم بين كرة السلة والبايسبول أن نقنع أبي بأن يحضر إحدى مبارياتها، أمي؟"

قالت بحزن: "لقد حاولت. رفض الحضور، ولم يفعل يوماً. أنتَ تعلم تماماً، كما أعلم، أنه يعتقد أنه من الغباء ممارسة الفتيات للرياضة".

بدا الانزعاج على وجه جوني فجأة. "إنها رياضية رائعة، بل وأفضل مني، وسيرى ذلك إن حضر إحدى مبارياتها".

"حسناً، لن يفعل". قالت أليس منهية الحديث في الموضوع. فقد طلبت ذلك من جيم مئات المرات، وكان ردّه أنه لن يضيّع وقته في مشاهدة مجموعة من الفتيات يلعبن ألعاب الفتيان، بأداء

سيئ. لقد كانت مناقشة الموضوع معه عقيمة، وكانت أليس تدرك ذلك. لقد حاولت ذلك على مدى سنوات.

قال جوني بغصّة: "إنه يفوّت على نفسه الكثير".

"أنا أحضر مبارياتها، هذا أمر مهم". إلاّ أنهما كانا يعلمان أنه لم يكن الأمر الذي تريده شارلوت، أو ليس كله على الأقل. لقد أرادت الحصول على اهتمام والدها ورضاه، وحتى الآن لم تحظَ بذلك. كانت أليس قلقة بشأن تأثير ذلك لاحقاً على ابنتها عندما تسترجع الماضي وتتذكر أن والدها لم يحضر لها مباراة واحدة، ولم يشهد فوزها أبداً في أيّ من المباريات المحلية أو عند إحرازها ميدالية. ولقد حازت على عدد من الميداليات يقارب ذلك الذي حصل عليه جوني، بما في ذلك جائزة أفضل أداء في بطولة البايسبول خلال الموسم المنصرم. حتى إن صورها نُشرت في الصحف المحلية، ولم يأتِ جيم على ذكر ذلك أبداً. في حين أنّه لو كان بإمكان بوبي أن يلعب، لكان لاحظ ذلك وأخبر أصحابه عنه.

رافقها طيف جوني، للمرة الثانية، لاصطحاب بوبي من المدرسة، في ذلك اليوم، وظلاّ يتحدثان طوال الطريق، وبدا بوبي في حال معنوية أفضل عندما ركب السيارة. استدار إلى المقعد الخلفي وحدّق مباشرة في طيف جوني، ثم عاد واعتدل في جلسته ونظر من النافذة بينما كانت أمه تحدّثه طوال طريق عودتهما إلى المنزل من دون أن يردّ. وهي لطالما تصرّفت معه بصورة طبيعية، ولم تُصب باليأس لأنه لم يفعل.

حالما وصلوا إلى البيت ناولته الحليب والكعك، فيما صعد طيف جوني إلى الطابق العلوي عائداً إلى غرفته ليعيد سترته إلى

مكانها. وبعد بضع دقائق، هرول بوبي إلى الطابق العلوي وظلّت أليس وحدها في المطبخ تقطّع الخضار وتحضّر طعام العشاء. لقد وعـــدت شارلوت أن تعدّ لها طبقها المفضّل: دجاج مقلي على الطـــريقة الجنوبـــية وبطاطـــا مهروسة مع فطيرة الكوسا التي تحبها.

وصلت شارلوت متأخرة بعد ظهر ذلك اليوم، وتوجهت بُعيد وصولها إلى حديقة المنزل الخلفية للعب كرة السلة، تماماً كما كان يفعـــل جوني في عمرها. بعد قليل، شعرت أليس بالبرد، فصعدت إلـــى غرفتها لإحضار سترة، وكان بإمكانها سماع أصوات تنبعث من غرفة بوبي الذي كان يستمع إلى أشرطة مسجّلة لتعليم الكلام. لقـــد اشترتها له لتساعده، إلاّ أن المحاولة فشلت بالرغم من كونها فكـــرة جيدة. أطلّت أليس برأسها من باب غرفته وأرسلت له قبلة، ورأت طـــيف جوني يجلس على كرسي قرب النافذة يراقب بوبي من دون أي كلمة. غمزته أليس قبل أن تعود أدراجها إلى المطبخ. كانـــت علـــى وشك الانتهاء من تحضير العشاء عندما نزل طيف جوني ونظر بنهم إلى صحن الكعك الذي لم يكن يستطيع أن يأكل منه، بالرغم من حضوره الطبيعي بالنسبة إليها. كانت هناك بعض الأمـــور التـــي يصعب عليه القيام بها مع أنه يشتهيها، مثل تناول الكعك وفطيرة التفاح التي تحضّرها أمّه.

"هـــل بوبـــي بخير؟" سألته بينما تبدو مشتتة بوضع اللمسات الأخيرة على فطيرة الكوسا.

"إنـــه بخير". قال طيف جوني بواقعية، فيما كان يجلس على إحدى كراسي المطبخ، وكان يؤرجح رجليه تماماً كما كان سيفعل

بوبي لو كان مكانه. "إنه يرى طيفي". قال ثم انتظر رد فعل والدته على ما قاله.

"مـــن يـــرى طـــيفك؟" سألته وهي تعيد شيئاً ما إلى الثلاجة وتُخرِج شيئاً آخر منها.

"بوبي". قال طيف جوني، ثم ابتسم وهو يراها تبتعد بسرعة عن الثلاجة وتحدّق به.

"كيف عرفت؟"

"يمكنني أن أشعر بهذا، إضافة إلى أنه لمس طيفي". قال ذلك وكأنه من أكثر الأمور طبيعية في العالم.

"وأنت تركته يفعل ذلك؟ يرى طيفك، أعني؟ هل يُفترض بكَ أن تفعل هذا؟"

"لست أدري. لم أكن أعرف أنه باستطاعة أحد سواكِ أن يرى طيفي، أمي. لكنه يستطيع". وبدا سعيداً لذلك.

سألته بقلق: "هل أخفته؟"

"طـــبعاً لا. لماذا يخاف مني؟ هل بدا لك خائفاً عندما دخلتِ إلى الغرفة قبل بضع دقائق؟"

"لا، لم يبدُ كذلك". على الأقل لن يستطيع أن يخبر أحداً.

"ماذا أخبرتَه؟"

"أخبـــرته أن طيفي عاد لزيارتكم، وأنه لا يستطيع البقاء، إلاّ أنه سيمكث هنا لبعض الوقت، تماماً كما أخبرتكِ. إنها الحقيقة. لقد كان سعيداً لرؤية طيفي يا الله. أنا أحبه يا أمي". لطالما كان جوني رائعـــاً معـــه. فقـــد كان في الثالثة عشرة من عمره عندما حصل

الحـــادث مع جيم، وشعر جوني بنفسه محطماً عندما خطر له أن بوبـــي لـــن يظل على قيد الحياة. ومنذ ذلك الحين، أصبح المدافع الأهـــم عـــنه. "لقـــد تحدثنا لوقت طويل عن رغبتي في أن أعود لـــرؤيته لأنني لم أودعه أبداً". اغرورقت عينا أليس بالدموع بينما كانـــت تـــصغي ثم ابتسمت لابنها الذي أحبته جداً. لقد أحبت كل أولادهـــا، إلا أنهـــا باتت تعلم الآن وأكثر من أي وقت مضى كم كانت تحب هذا الابن.

"لا بد وأنكَ أنتَ من سمعت صوته حين صعدت إلى الطابق العلـــوي. لقد ظننتُ أنه أحد الشرائط المسجلة التي أحضرتُها له. عليكَ أن تتوخى الحذر من أن يسمعكَ والدك وشارلي وأنتَ تكلمه. إن كان باستطاعتهما". هزّ رأسه حينها فيما دخل بوبي إلى المطبخ وابتسم ابتسامة عريضة حين رأى طيف جوني مع والدته.

"هـــذا مثير جداً يا بوبي، أليس كذلك؟ لكن لا يمكننا أن نخبر أحداً". قالت بهدوء وهزّ رأسه وهو ينظر تارة إلى والدته وأخرى إلى طيف جوني. رغم أنه لا يستطيع، ولو حتى أراد ذلك فإنه لا يـــستطيع. لكـــنها تأثـــرت حين رأت البريق يتراقص في عينيه. وســـألت ألـــيس طـــيف جونـــي: "هل تعتقد أن كل أفراد العائلة ســـيتمكنون من رؤيتكَ تدريجياً؟ جميعنا نفتقدك. والدكَ وشارلوت أيضاً".

"ربمـــا همـــا لا يحـــتاجان لرؤية طيفي كما تحتاجانها أنتما الاثنان". لكن الحقيقة أنه لم يكن يعرف السبب. وكان مستعداً للقيام بـــأي شـــيء إن استطاعت بيكي أن ترى طيفه أيضاً لأنها تفتقده بشدة، لكن كان واضحاً أنها لا تراه. "أنا لا أعلم كيف يحصل هذا

أو لمـــاذا، أمي. إنه يحصل وحسب. علينا تقبل الأمر. لا يفترض بـــي أن أخـــيف أحداً أو أسبب مشاكل لأحد أو أتسبب بتعقيد حياة أحد. أنا هنا لأصحح الأمور، هذا كل شيء".

"مـــثل ماذا؟" كانت لا تزال تشعر بالفضول لمعرفة الحقيقة، وكان بوبي يصغي بانتباه.

"لا أعلم بعد. أمور وحسب. تعلمين، تماماً كما تحضرين أنتِ العـــشاء". قـــال ممازحـــاً، وابتسمت له في الوقت الذي سمعا فيه صـــوت ســـيارة جيم وهو يدخلها إلى المرآب. نظرت من الشباك لتـــتأكد أنه هو، واستطاعت أن ترى شارلوت وهي لا تزال تلعب كـــرة السلة في الخارج. وشعرت بمرارة حين رأت جيم يمر من قـــرب شارلوت التي نظرت إلى والدها دون أن يتبادل الاثنان أي كـــلام على الإطلاق. استدارت أليس إلى ابنيها ثانية ونزل طيف جوني عن كرسي المطبخ وأخذ بيد بوبي إلى خارج المطبخ ثم إلى الطابـــق العلوي، في الوقت الذي دخل فيه والدهما. وبعد لحظات، ســـمعت ألـــيس باب غرفة بوبي يُغلق فيما كان جيم يفتح الثلاجة ويأخذ زجاجة من شراب الشعير قد وبدا لها متعباً.

سألته: "يوم شاق يا عزيزي؟"

"مـــثل غيـــره". قال بينما كانت تخرج الطعام من الفرن. ثم ســـألها دون اهـــتمام يذكر. "كيف كان يومكِ؟" وقد بدا مشتتاً ولا يشعر برغبة في الكلام.

"جيد. لم يحدث شيء يذكر". كانت على وشك أن تخبره أنها كانـــت تتحدث إلى الصبيين عند وصوله، لكنها بالطبع لم تستطع. وعوضاً عن ذلك، أومأت إلى شارلوت لتدخل ثم صعدت مسرعة

لتـنادي بوبي الذي كان يجلس مع طيف جوني على الأرض في غرفته، وتكلمت معهما بالهمس متوجهة أولاً بالحديث لطيف ابنها الأكبـر. "حـسناً، حان الوقت كي تذهب يا عزيزي. ينبغي على بوبي أن ينزل لتناول العشاء الآن".

"يمكننـي أن آتي أنا أيضاً. لن يراني أحد، أمي". شعر طيف جونـي بالانزعاج نظراً لكونه لا يستطيع المشاركة حتى ولو كان لا يمكنه الأكل.

"أنـا وبوبـي سنفعل، وكيف سيكون الحال إن صدر منا ما يشعرهما بوجودك؟" بدا ذلك أكثر من مستغرباً.

"حيـنها سيظنّان أنكما قد جننتما". ضحك طيف جوني ورسم بوبـي ابتـسامة عريضة، الأمر الذي قلما فعله. مع طيف جوني بقـربه، بـدا بوبي فجأة أكثر مرونة وأسعد مما كان عليه لشهور خلت.

"حسناً، سأذهب لرؤية بيكي وسأعود إلى البيت بعد العشاء". بدا وكأنه فعلياً على قيد الحياة يتنقل بين المنزلين ولديه متّسع من الوقت ليقضيه معهم بما أنه لا يذهب إلى المدرسة أو العمل وليس لديـه التزامات واضحة. أياً تكن الأمور التي جاء لإصلاحها، إلا أن ذلك لم يكن كعمله بدوام كامل، فقد كان يمضي وقتاً طويلاً مع والدته وبوبي وبيكي. لكن لم يعد هناك ما يستدعي قلق أليس عليه. كانت فقط سعيدة بوجوده.

أمسكت بيد بوبي ونزلا إلى المطبخ حيث انضما إلى شارلوت وجيم، أغلق طيف جوني الباب وراءهما. كانت شارلي تخبره عن المـباراة التـي لعبها فريقها بعد ظهر ذلك اليوم وكم كانت جيدة،

ولمرة واحدة، أظهر بعض الاهتمام وإن لم يكن كثيراً. وبعد دقيقة، قاطعهـا وأخبرها عن الميدالية التي حصل عليها جوني في مباراة لكرة السلة عندما كان في مثل سنها.

"لقـد كـان أفـضل رياضـي متعدد المواهب عرفتُه على الإطـلاق". قال جيم بفخر وتحدث طيف جوني معه بصوت عال، إلا أنه لم يسمعه.

"لا، كانت هي من حصل عليها يا أبي! اعترف بذلك!" لكن، كلاهمـا لـم يسمعه، ثم لوح بيده لبوبي ووالدته وخرج من البيت مـاراً بالباب الأمامي الذي فتحه وأغلقه بلطف كي لا يسمعه أحد. نظـر بوبي إلى والدته بعينين واسعتين لأن كليهما يدركان أن ما يحـصل معهما أمر يفوق قدرتهما على الاستيعاب وأن السر الذي يتشاركانه أضحى يقربهما أكثر من أي وقت مضى، فربتت أليس على كتفه فيما كان يجلس في مكانه بين شارلوت ووالده.

كانت أمسية عادية بالنسبة للجميع ولم يرجع طيف جوني إلى البيت إلاّ بعد أن أصبحت أليس في سريرها تقرأ.

"كـيف حـال بيكي؟" سألته والدته وهي تنظر إليه من فوق نظـارة القـراءة التـي بدأت تضعها مؤخراً والتي أعجبت طيف جوني، الأمر الذي جعلها تبتسم.

قال منتصراً: "لديها موعد مع شاب غداً مساءً".

"كيف حصل ذلك؟" بدت أليس متفاجئة. فقد كانا يتحدثان عن مقدار الحزن في حياتها.

"الـتقت بشاب في العمل اليوم. كان طالباً في إحدى الكليات وتوقـف عن الدراسة لفصل دراسي واحد للعمل مع والده. اتصلَ

بها الليلة وطلب منها موعداً". بدا سعيداً بينما كان يخبرها ذلك، إلا أنه كان يشعر بأحاسيس متضاربة حيال هذا الموضوع. اسمه باز، وهو حقاً شاب وسيم وذكي ولطيف. يملك والده سلسلة من متاجر الشراب ويقود سيارة من نوع مرسيدس. وهو أيضاً يحب الأولاد؛ لديه ثلاث إخوة وأختان". أخبر طيف جوني والدته بذلك والهمّ بادٍ عليه. "لست متأكداً من كونه مناسباً لها، لكن بدا لي أنه لا بأس به عندما دخل إلى المتجر. لقد ارتاد الثانوية ذاتها حيث درسنا نحن، واستطاع التعرف إلى بيكي بمجرد أن دخل. وتخرج حين كنا نحن فـــي السنة الجامعية الثانية. لطالما كانت تعجبه، إلا أنه لم يطلب منها موعداً من قبل".

ســألته والدته بفضول وإعجاب: "هل رتّبتَ أنتَ لها هذا؟" إذ إنـــه لأمر جميل أن يفعل هذا، إن كان قد فعل ذلك. وبدا مرتاحاً لذلك هو أيضاً.

"أعــتقد ذلــك". إذ لــم يكــن متأكداً بعد من قوة تأثير طيفه وإمكاناتــه. "علـــى فكرة، تشارلي لا تزال مستيقظة، أليس الوقت متأخراً لتكون كذلك؟"

قالــت بابتسام: "لا أظن ذلك". كانت ترى جوني فتى ناضجاً جداً في بعض الحالات، وابناً مدللاً في حالات أخرى.

"إنهـــا في الرابعة عشرة من عمرها. أنتَ كنتَ تنام بعد هذا الـــوقت عـــندما كنتَ في مثل سنها". قالت وهي تستمتع بمراقبته لأخته. في ذلك الوقت دخل جيم غرفة نومهما والتعب بادٍ عليه. لم يسمعه أي منهما وهو يدخل، وبدا في حالة واعية أكثر مما يكون عليه في مثل هذا الوقت.

سألها وهو ينظر إليها مباشرة: "مع من كنتِ تتكلمين؟"

"آه... أنـــا... مـــع نفـــسي... أقوم بذلك أحياناً عندما أشعر بالوحدة". وحاولت أن تتظاهر بأنها غير مهتمة.

قـــال ممازحاً: "من الأفضل لكِ أن تنتبهي، سيبدأ الناس بقول أمـــور مـــضحكة عنكِ". هزّت رأسها وغادر طيف جوني بحذر وتوجه إلى غرفته.

"تـــبدين هـــذه الأيـــام أفضل مما كنت عليه في الأيام القليلة الماضية وفي حالة معنوية مرتفعة جداً. ما السبب؟"

"إنني أشعر بتحسن وحسب، أعتقد ذلك. أظن أن قرحة معدتي تلتئم". ولم تبدُ غارقة في الحزن كما كانت تبدو من قبل. لقد لاحظ علـــيها ذلك، ولاحظ أيضاً عدة أمور؛ العشاء اللذيذ الذي حضرته في تلك الليلة، والطريقة السلسة التي تكلمت بها معه دون أن تبدو متألمة أو متوترة. وبدت أمور العائلة تتحسن وإن ببطء، دون أن ينـــسى أحد خسارته لجوني، أو صعوبة أن تعود الحياة مجدداً كما كانـــت عليه في السابق، أو عدم إمكانية جيم أن يسامح نفسه على الحـــادث الـــذي أدى إلى ما أصبح بوبي عليه الآن والصدمة التي تـــسبب له بها. ومهما طال الصمت في حياته، فإنه لن يتمكن من نسيان دوره في ذلك، أياً تكن الطريقة التي يتبعها ليخدر نفسه.

اســـتلقيا فـــي السرير وتحدثا لبعض الوقت في تلك الليلة ولم تـــستطع أن تمـــنع نفـــسها من التساؤل إن كان قد خفف من كمية الشراب الذي يشربه أو إن كان تأثير ذلك عليه قد بدا أقل، إلا أنه كـــان من الصعب معرفة الأمر. لكنها وجدت الإجابة في الصباح عـــندما رأت ثـــلاث زجاجات من شراب الشعير قرب مقعده في

غرفة الجلوس، فأعادتها إلى الثلاجة مجدداً. وبينما هي تفعل ذلك، نزل طيف جوني مرتدياً سترته الرياضية، وطلب من والدته أن تصطحبه إلى مدرسة بام للتجميل صبيحة ذلك اليوم، إذ كان هناك ما يودّ أن يراه. وبما أنه لم يكن هناك ما يشغل أليس، فلقد وافقت على طلبه لأنها تحب اصطحابه إلى حيث يريد، تماماً كما كانت تفعل عندما كان فتى صغيراً. ولطالما استمتعت بالوقت الذي كانا يقضيانه معاً في السيارة.

"ماذا يفترض بي أن أقول لبام بالضبط عندما نصل؟" سألته أليس وهما لا يزالان في السيارة.

"يا الله، أفتقد هذا فعلاً". قال والسعادة بادية عليه. فضحكت وذكرته بأنها لم تقم من قبل بزيارة بام في العمل أبداً، وأنها قد تستغرب تصرّف أليس هذا. "أخبريها أنكِ تودين تسريح شعركِ".

"وماذا بعد ذلك؟ لماذا نحن متوجهان إلى هناك؟"

"لستُ متأكداً بعد. من المفترض أن أرى شيئاً هناك اكتشفته الليلة الماضية وسأخبركِ عنه لاحقاً". بعد خمس دقائق، وصلا إلى مدرسة التجميل وتفاجأت بام بدخول أليس إلى مدرستها.

"هل أنتِ بخير؟" بدت وكأنها منتشية قليلاً بالنسبة إلى بام التي بدأت تتساءل إن كان الأطباء قد وصفوا لها بروزاك لتخفيف آلام قرحة معدتها؛ فقد كانت تتصرف بغرابة وبدت مرحة جداً طوال الوقت.

"أنا بخير. كل ما هنالك هو أنه خطر لي أن أُسرّح شعري، على سبيل التغيير".

"لماذا؟ هل أنت ذاهبة إلى مكان ما؟"

"أنا ذاهبة لتناول الغداء". شرحت أليس محاولة التظاهر بأن الأمور طبيعية، إلا أنها شعرت بقليل من الارتباك عندما رأت طيف جوني يقترب من أحد مجفّفات الشعر وهما تتحدثان. "لا تقترب منه". قالت أليس وقد بدت مشتتة الذهن، فيما حدقت بها بام إذ لم تكن لديها أي فكرة عما تتحدث عنه أليس.

"لا أقترب من ماذا؟"

"أقصد، لا تقربي المجفّف من شعري. سرحيه وحسب".

"طبعاً أليس، لا مشكلة". قالت بام مطمئنة إياها لأنها كانت قلقة جداً عليها بالرغم من أنّ أليس بدت بخير وفي حالة معنوية جيدة، وبدا كذلك واضحاً أن قرحة معدتها تتحسن، إلاّ أنها كانت تتصرف بغرابة هذه الأيام.

طلبت بام من إحدى تلميذاتها أن تغسل شعر أليس، وبعد بضع دقائق طلبت من طالبة أخرى أن تقص لها شعرها ثم من ثالثة أن تسرحه لها. وخلال كل ذلك، كان طيف جوني يظهر ويختفي بطريقة ملحوظة، لم تخفَ على أليس؛ إذ بدا منشغلاً جداً. وبعد ساعة، كانت والدته قد انتهت من تسريح شعرها بطريقة أنيقة، عندما عاد بصحبة مندوب مجموعة من مستحضرات العناية بالشعر. أخبر هذا الأخير بام أن مركزه في لوس أنجلوس لكنه أتى إلى المنطقة ليعرض منتجاته على صالونات ومدارس التجميل المحلية مثل مدرستها. كان شعره قصيراً، ويرتدي معطفاً وربطة عنق. بدا رجلاً أنيقاً ومحترماً ولطيفاً ومسلياً بينما كان يتحدث إلى بام وأليس، التي وجدته جذاباً بالرغم من أن بام لم تلاحظ ذلك، إذ لم تكن مهتمة بمواعدة الرجال. ومع ذلك، كانا لا يزالا يتحدثان

عندما غادرتهما أليس مودّعة بابتسامة، بعدما حاولت أن تدفع لقاء التسريحة، لكن بام رفضت بحزم.

"هل أنتَ من فعل ذلك؟" سألت أليس طيف ابنها الذي تظاهر بالبراءة.

"فعلتُ ماذا؟"

"أحـضرتَ هـذا المندوب إلى مدرستها؟ هل لكَ علاقة بهذا الأمر يا جوني؟"

"لديَّ أمور أكثر أهمية أقوم بها من ترتيب موعد لوالدة بيكي. هـذا لـيس سـبب عودة طيفي إليكم". قال وقد بدا أكثر هيبة من الشباب في مثل سنه.

إلا أن أليس لم تقتنع. "كنت فقط أتساءل".

بعد ظهر ذلك اليوم، ابتسم بوبي حين رأى شعر والدته عندما اصـطحباه من المدرسة. جلس طيف جوني إلى جانبه في المقعد الخلفـي، وكان صوت المذياع مرتفعاً جداً في طريق عودتهم إلى البـيت، فـيما كـان طيف جوني يغني مع الموسيقى وبوبي يهز برأسه. فقد كان مسروراً لوجود طيف جوني معهم ثانية، وبدا كل شيء حوله مفعماً بالحياة والمرح. إذ عندما كان جوني طفلاً، في سـن بوبي، كان يحب المشاغبة ولم يتغير حتى الآن. فلقد بدا هو أيضاً مسروراً بعودة طيفه إلى المنزل ومرافقة بوبي ووالدته. كان مسروراً لدرجة أنه لدى وصولهم إلى البيت رافق بوبي إلى حديقة المنـزل الخلفـية ولعـبا كرة السلة. وكانا لا يزالان هناك عندما رجعت شارلوت إلى البيت مهمومة لأنها رسبت في امتحان اللغة الفرنـسية، لكـنها ابتسمت عندما رأت بوبي يحاول بكل قوته أن

يدخل الكرة في السلة من دون أن ترى طيف جوني الذي كان يقف على مسافة قريبة جداً منها.

"دعنـي أعلمك كيف تفعل هذا". قالت شارلي وهي تأخذ منه الكـرة وتدخلها في السلة من المحاولة الأولى. ثم شرحت لأخيها كيف فعلت ذلك.

"انظـر إلـى هـذا، إنها رائعة!" قال طيف جوني بإعجاب. فاستدار بوبي نحوه وابتسم. وشارلوت تراقب ما يحدث.

سألته شارلي: "لماذا تنظر خلفي؟ يجب أن تبقي عينيك على السلة. انظر إلى حيث تريد أن ترمي الكرة وليس فوق كتفي".

قـال له طيف جوني: "إنها محقة. توقف عن النظر إليَّ ونفّذ ما تقوله لك. هي أفضل مني في ذلك". ابتسمت أليس، التي كانت تنظر مـن وراء الـنافذة، لدى رؤيتها أولادها الثلاثة يتجمعون تحت شبكة كـرة الـسلة. والتبـست مشاعرها، فمن جهة شعرت بالحزن عندما فكـرت أنهـا قـد تكون المرة الأخيرة التي ستراهم معاً. ومن جهة أخـرى، كانت تشعر بالامتنان لمجرد رؤيتهم هكذا ولو لمرة واحدة فقط. ومرّت نحو نصف ساعة وهي تستمتع بدفء ذلك المشهد عندما وصل جيم وقال لها إن هناك أمراً مهماً يريد أن يخبرها إياه.

قال بفخر ودهشة: "حصلنا على عميلين جديدين اليوم. إنهما رجـلا أعمـال مبـتدئان، لكنـنا سنوقّع معهما الكثير من العقود لمساعدتهما على تأسيس العمل، الأمر الذي يمكن أن ينعكس علينا إيجاباً".

قالت بسرور: "حقاً؟" وقد أدركت أن هذا ما كان طيف جوني منشغلاً به طوال اليوم: رجلاً لبام، وصديقاً لبيكي في الليلة الفائتة،

وشـــارلوت بدت أكثر اهتماماً ببوبي، وحصول جيم على عميلين جديدين.

هــنأت طــيف جوني على كل ما قام به قبل أن يصعد إلى غــرفة بوبي في تلك الليلة بعد العشاء، وأخبرها أنه سيغادر قريباً لأنه يريد أن يذهب لزيارة بيكي.

"أرجو فقط أن تكون قيادة باز أفضل من قيادتي". قال لوالدته التي نظرت إليه بذعر.

"إنــه لأمــر فظيع أن تقول هذا". قالت أليس موبخة. فابتسم الطــيف وانحنــى نحو والدته وقبلها قبل أن يغادر، فيما بقيت في المطــبخ لدقيقة بعد مغادرته وهي تفكر فيه، وتمنت فقط ألا ينجز مهماته بسرعة كبيرة لأنها لم تكن على عجلة ليغادرهم، ولا حتى هو يريد ذلك الآن.

الفصل السابع

ســار مــوعد بيكــي الأول مع باز واتسون على ما يرام بالرغم من أنها أمضت معظم الأمسية تتحدث عن جوني. ذهبا معــاً إلى السينما ثم إلى مطعم جو لتناول البرغر. إنه المكان نفسه الذي كانوا سيقصدونه ليلة وفاة جوني، والمكان المفضل للجميع عندما كانوا طلاب مدرسة. جلس طيف جوني إلى جنبها لبعض الوقت يستمع إلى ما يقولانه، وابتسم وهو يستعيد معها شــريط الذكريات، وبدا له الوقت الذي أمضياه معاً أكثر روعة الآن. وفــي أثــناء الحــديث، التفتت إليه بيكي مباشرة مرة أو مــرتين دون أن تتمكن من رؤيته. وبطريقة ما اعترف لنفسه، رغماً عنه، أن باز شاب لطيف؛ فعندما كانوا في المدرسة، كان يظــنه أحــد أولــئك الشباب المتعجرفين، لأنه كان من الأولاد الأغنــياء، إذ يمتلك والده سلسلة من متاجر الشراب في جنوبي كاليفورنــيا. وكانت عائلته تسافر إلى أوروبا كل صيف، وكان يقود سيارات فخمة.

كــان بــاز صبوراً في إصغائه إلى بيكي، وقال إنه يعتقد أن جونــي كــان فتى رائعاً رغم أنه لم يكن يعرفه جيداً، ولم يحاول تغييــر الموضوع أو يوقف فيض ذكريات بيكي التي انهالت منها

كالشلال، واغرورقت عيناها بالدموع أكثر من مرة. وكلما حصل ذلك، كان يمسك يدها بلطف.

لم يتغير الوضع في طريق عودتهما إلى المنزل، إلا أنه أخبرها عن جامعته وأنه سيعاود الدراسة في الفصل الدراسي التالي، وأنه اضطر، بسبب مرض والده ذلك الصيف، إلى التوقف عن الدراسة لمساعدة والده نظراً لكونه الابن الأكبر. فقد كان يعمل في محلات والده مدة شهرين كل صيف، وخلال الإجازات، منذ أن كان في الرابعة عشرة من عمره. بدا لها أنه يعرف الكثير عن هذا النوع من العمل، وأخبرها باختصار عن بعض أنواع الشراب الفرنسي الفاخر، شارحاً بعض التفاصيل التي تعلمها جراء مرافقته والده إلى فرنسا حيث يمضيان شهراً كل صيف كي يزور والده مزارع العنب، وتعلم منه الكثير خلال وجودهما هناك أكثر من إخوته الآخرين، الذين لم يكونوا مهتمين بمتاجر والدهم، حتى الآن على الأقل.

كان واضحاً أنه شديد الإعجاب ببيكي، فهي لا تزال جميلة كما عهدها منذ أيام الدراسة. وأخبرها أنه قد فكّر مرة في دعوتها إلى حفل التخرج الراقص، لكنه كان يعي عدم استطاعته ذلك بسبب وجود جوني. ومازحها في هذا الخصوص وقال إنها لم تكن تلاحظ وجوده في حينها، فابتسمت.

"أجل، فكرت في ذلك. ولكنني لم أكن أعتقد أنك معجبة بي". لقد كانا زميلين في صف اللغة الفرنسية، لكن أصحابه كانوا يكبرونها بسنتين وكانت هي خجولة جداً.

قال وهو يضحك: "ظننت أن جوني سيقتلني إن واعدتك. كذلك، لماذا كنت ستقبلين بي؟ فقد كان هو نجم كرة القدم". إلا أن

هناك الكثير من الصفات التي تعجبها في شخصية باز الآن؛ فهو شخص حساس وذكي وجذاب، أضف إلى ذلك أنه اختبر الحياة يافعاً، ما جعله أكثر نضجاً ووعياً مما كان عليه جوني في مثل سنه.

كان عمره يقارب الواحد والعشرين سنة، وبالنسبة إلى بيكي، كان رجلاً أكثر منه فتى. قال بلطف: "لقد استمتعت بوقتي، بيكي. أعلم أنه من الصعب عليك الخروج مع شاب غير جوني بعد كل ذلك الوقت". فقد كان جوني الشاب الوحيد الذي واعدته وأحبته، إلا أنه لم يكن هناك من سبيل لتغيير حقيقة أنه قد رحل. وبطريقة ما، عليها أن تتابع حياتها، وإن لم تكن مستعدة لذلك بعد، كما قالت. ومع ذلك استمتعت بوقتها مع باز طوال المساء وهي تسمعه يتحدث عن جامعته وأصحابه وعمل والده والوقت الذي أمضاه في فرنسا، وأنه هو أيضاً يحب الأولاد ولديه الكثير من الإخوة والأخوات. كان هو الأكبر بين ستة أولاد بينما هي الأكبر بين خمسة أولاد. وبالرغم من ظروفهما المالية المختلفة، فقد جمع بينهما الكثير من القواسم المشتركة. وسألها إن كانت لا تمانع في مرافقته إلى العشاء مرة ثانية مساء السبت.

"طبعاً، أود ذلك، باز". قالت بعفوية بينما كانت تنزل من سيارة المرسيدس التي اشتراها له والده عندما بدأ دراسته الجامعية قبل عامين. فهو يدرس الاقتصاد ويفكر في الحصول على درجة الماجستير في إدارة الأعمال يوماً ما. وهي أخبرته أنها ستحاول الحصول على منحة دراسية مجدداً في الربيع، على أمل أن تتمكن من معاودة الدراسة في الخريف، من دون أن يتنافى ذلك مع

سعادتها بعملها في المتجر وبمساعدة والدتها على الاهتمام بإخوتها. كل ذلك كان كافياً حالياً.

اقترح الذهاب إلى مطعم فرنسي لتناول العشاء يوم السبت، وقد بدا لها المكان مألوفاً مع أنها لم تذهب إليه يوماً. فبالإضافة إلى معرفته بأنواع النبيذ الفاخر، كان الطعام الفرنسي نقطة ضعفه.

سألها فيما كان يوصلها إلى الباب الأمامي: "ما رأيك بذلك؟ أم أنك تودين تكرار برنامج الليلة؟ أعتقد أن بعض التغيير قد يكون ممتعاً". وبدا سعيداً ومرحّباً بأي خيار تتوصّل إليه. في تلك الأثناء، كان طيف جوني يتكئ إلى شجرة ويستمع إليه وهو يواعدها مجدداً، وود لو يكرهه لذلك، لكنه وبطريقة ما، لم يستطع أن يفسد الأمر لأنه كان سعيداً بسبب تدليل باز لها. حتى إنه لم يستطع أن يقنع نفسه بأن باز متعجرف لأنه لم يكن كذلك، وكان إعجابه ببيكي التي استدارت إلى باز برصانة عندما وصلا إلى الباب الأمامي، واضحاً بشدة.

قالت بهدوء: "أعتذر لأنني تحدثت كثيراً عن جوني، فأنا أفتقده كثيراً، وكل شيء يبدو مختلفاً بالنسبة إليَّ من دونه".

قال بلطف: "لا بأس يا بيكي. يمكنني تفهم الأمر".

هزّت رأسها وأمسك الباب الأمامي لها حتى يدخلا، وبعد دقيقة خرج وحده وقاد سيارته بعيداً بينما كان طيف جوني يراقب المرسيدس تختفي، ثم استدار ببطء وعاد إلى منزله.

كانت والدته في السرير تقرأ عندما دخل غرفتها، فنظرت إليه وابتسمت. "أين كنت طوال الليل؟" إنه السؤال عينه الذي كانت تسأله إياه كلما عاد متأخراً، عندما كان على قيد الحياة.

"كنت مع بيكي". قالها بحزن وقد بدا فتى أكثر منه رجلاً.

قالت أليس وقد بدت مرتبكة لرؤيته حزيناً: "ألم تخبرني أنها على موعد مع أحدهم الليلة؟"

"أجل. مع باز واتسون. إنه شخص لطيف".

"هل رافقتهما طوال الليل؟" سألته بقلق، إذ لم تكن تلك فكرة صائبة أو مناسبة سعيدة له حتى الآن.

"لا. كنت معهما على العشاء، فقط، ثم قمت ببعض الأعمال الأخرى، وبعدها انتظرت قرب منزلها حتى أوصلها".

قالت أليس مشيرة إلى السرير قربها. "تعال إلى هنا. لماذا فعلت هذا؟" فاقترب وجلس. كانت قلقة على ولدها وقد ملأ الحزن عينيه.

"أردت التأكد من أنه سيكون لطيفاً معها".

"وهل كان كذلك؟"

"أجل. تركها تتكلم عني طوال وقت العشاء وسيصطحبها إلى مطعم شي جاك مساء السبت".

"ألا يجب أن تتركهما وحدهما لبعض الوقت؟ لن يكون سهلاً أن تراها برفقة أحد سواك. لماذا لا تبقى برفقتي وبوبي في الليالي التي تخرج فيها معه؟"

ابتسم قائلاً: "فكّرت، فقط، في مراقبة سير الأمور في البداية. أعتقد أن ذلك غباء، لا؟ لقد ساعدتها على إيجاد صديق، وأنا لست أكيداً الآن من أن ذلك يروق لي. إنه أمر صعب يا أمي". لكنه لم يكن أصعب من الظروف القاسية التي مروا بها مؤخراً.

سألته أليس في محاولة منها لتغيير الموضوع: "ماذا يجري مع بام؟"

ابتسم طيف جوني. "ستخرج بصحبة غافن، الرجل الآتي من لوس أنجلوس، مساء الجمعة. إنه متيم بها".

"جيد. إنها تحتاج إلى رجل في حياتها، فهي لم تخرج برفقة أحد منذ وفاة مايك". هزّ طيف جوني رأسه وبدا مهموماً، لأن لديه الكثير ليفكر فيه والكثير ليقوم به. لكن رؤية بيكي بصحبة باز هذه الليلة أزعجته. فتنهد ونظر إلى والدته وبدا كما كان ثانية.

"أنا بخير يا أمي. كل شيء في مكانه الصحيح. سأذهب لأرى شارلي لبعض الوقت قبل أن أغادر. كيف كان والدي الليلة؟"

"غفا أمام التلفاز". وهزّت كتفيها غير مبالية. فقد اعتادت على سير الأمور بهذه الطريقة في منزلهم منذ وقت طويل، مع أن حال جيم قد تحسّن، على الأقل، مؤخراً. أما أليس فكانت تشعر بالسعادة التي افتقدتها طيلة أشهر، لقد عاد طيف جوني بينهم من جديد.

خلال الأسابيع القليلة التالية، أمضى باز وبيكي وقتاً لا بأس به معاً. اصطحبها إلى مطاعم جميلة، ورافق إخوتها لمشاهدة مباراة في كرة القدم، وأهدى والدتها زجاجات من الشراب الفرنسي الفاخر لتتناولها مع صديقها الجديد غافن. وأصبح باز زائراً دائماً لمنزل آل آدامز. أما بالنسبة لعلاقته ببيكي، فكل ما فعلته هي أنها أمسكت يد باز مرة، وهو كان يتحرك ببطء، إذ لم يكن يرغب في دفع الأمور بسرعة أو بالضغط عليها. وبمرور الوقت، أصبح حديثها عن جوني أقل مما كان عليه في بداية علاقتهما، وأعجب كلاهما بغافن الذي كان يزور والدتها كل عطلة نهاية أسبوع من لوس أنجلوس. وبدا واضحاً للجميع أنه كان معجباً بها جداً ومحباً لأولادها.

حتى إن الأربعة خرجوا معاً للعشاء ذات ليلة: غافن، بام، باز وبيكي. ذهبوا إلى مطعم إيطالي صغير، حيث اقترح باز نوعاً فاخراً من الشراب الفرنسي النادر. استمتع الأربعة بليلتهم؛ وعاد طيف جوني مرتاحاً إلى البيت تلك الليلة ووصف ما حدث طوال الأمسية لوالدته.

"ما زلت أعتقد أنه عليك ألا ترافقهما حينما يكونان معاً". قالت أليس موبخة إياه. ثم سألته إن كان سيرافق بوبي في ليلة العيد، فيما لم تكن هي قد حسمت أمرها في اختيار الزي المناسب لبوبي؛ أتختار له زي سوبرمان أو الرجل الوطواط أو زي سلاحف النينجا الذي أعجبها سابقاً. وكانت أليس تنوي أن تتمشى مع بوبي في الجوار لأن شارلوت أعلنت سلفاً أنه لم يعد مناسباً لمن في مثل سنها أن يقوم بذلك، وأنها ستمكث في البيت وتوزع الحلوى مع مجموعة من أصحابها.

فأجاب طيف جوني متطوعاً: "سأرافقه يا أمي".

"سيكون ذلك ممتعاً. حاول أن تعرف ما يريد أن يرتديه". بعد أن كان قد لبس زي لوك سكاي ووكر من حرب النجوم السنة الفائتة.

ولم تتمكن من حسم الأمر مع بوبي. وبعد بضعة أيام بينما توجهت نحو غرفتها لإحضار كنزة ترتديها في ذلك اليوم البارد، سمعت أصواتاً مصدرها غرفة بوبي، وكانت تعلم أن شارلوت تنجز فروضها المنزلية في غرفتها، فافترضت أنه أحد الشرائط المسجلة التي أحضرتها له، وابتسمت عندما سمعت طيف جوني يتكلم معه. لم يكن باستطاعة بوبي التجاوب معه، لكنه على الأقل

كــان يمكنه أن يسمعه ويراه. كان بإمكانها سماع صوتين في الغرفة؛ صــوت الـشريط المسجل وصوت طيف جوني. وفي طريقها إلى غرفتها، سمعت فجأة صوت ضحك، فتوقفت وعادت ببطء إلى غرفة بوبي وتنصتت. في بادئ الأمر، كل ما استطاعت سماعه كان صوت طـيف جونـي يـتحدث إلى بوبي، ولم تعد تسمع صوت الشريط المـسجل، لكنها استطاعت أن تسمع بوضوح صوتاً ثانياً. ودون تفكيـر، فـتحت الباب ونظرت إليهما وهما يجلسان على الأرض وألعاب بوبي منتشرة في المكان. فنظرا إليها بدهشة وارتباك.

ســألتهما بنبــرة طبيعية بعد أن دخلت الغرفة وأغلقت الباب وراءها كي لا يسمعهم أحد: "ما الذي تنويان فعله؟ إثارة الفوضى أم الاســتمتاع بوقتكما فقط؟" وتأملت ابنيها بإمعان وشعرت أنهما يكـتمان سراً. ارتجف قلبها فيما كانت تنظر إليهما، فضحك طيف جونــي بـصورة مستغربة. "هل هناك أمر مضحك يحصل هنا؟" وتـنقلت بنظرها من أحدهما إلى الآخر؛ فنظر طيف جوني مشيراً إلى أخيه الأصغر وهمس له بعض الكلمات بينما كانت تراقبهما.

رفع بوبي ناظريه ببطء إليها وشعرت بأن سهماً قد اخترقها. وبالكــاد كانت تستطيع التقاط أنفاسها عندما مدّت إحدى يديها إليه وجلـست قــربهما. لـم تدرِ لماذا، إلاّ أنها أرادت أن تكون قريبة منهما. ثم لمست وجه بوبي بكلتا يديها واغرورقت عيناها بالدموع دون أي سبب واضح لذلك. شعرت وكأن شيئاً ما في داخله سيتم الإفراج عنه قريباً.

سألته بقلق: "هل أنت بخير؟" فهزّ الطفل رأسه، فيما لم يحرك طيف جوني عينيه عنه.

"هيا". قال طيف جوني. فحوّل بوبي نظره من أخيه إلى أمه.

همس بوبي: "مرحباً أمي". وانفجرت هي بالبكاء ثم ضمّته إليها بقــوة، حتى كادت تتقطع أنفاسهما. ثم أبعدته عنها برفق وهي تبكي وتضحك في آن واحد. ومدّت يدها إلى طيف جوني وضمته إليهما.

"مرحباً بوبي". كان هذا كل ما استطاعت أن تقوله في البداية. "أحبك كثيراً...، منذ متى وأنت تستطيع الكلام؟"

"منذ أن عاد طيف جوني. قال إنه ينبغي عليَّ ذلك، وإننا لن نــتمكن من اللعب سوياً إن لم أتكلم معه". كان طيف جوني يبتسم لكليهما، فيما كانت أليس تحاول مسح الدموع المنهمرة على خديها.

"هــل ســتتكلم مــع الجميع". لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل عن الوقت الذي بدأ فيه الكلام، أو التفكير كم سيعني هذا الأمر لوالده. وخلال سؤالها له، هزّ رأسه ونظر إلى طيف جوني.

أجاب طيف جوني بهدوء: "ربما قريباً، أمي. علينا القيام بذلك تدريجــياً. على بوبي أن يعتاد التكلم معك، أولاً. لكنه يُبلي حسناً". قــال وهــو يعــبث بشعر بوبي مداعباً. "قال لي كلمة حلوة هذا الـصباح". ضحك بوبي عندما تذكر الكلمة التي تجرّأ على قولها لأخــيه الأكبر، لقد كان يدرك أنها كلمة من غير المسموح له أن يتفوه بها، حتى في أول كلامه، ومهما بلغ اشتياقهم لسماع صوته.

"ألا يمكــن أن نخبــر والدكما بهذا؟" وشعرت أليس بانزعاج شديد لعدم مشاركة جيم هذا الحدث، نظراً لكونها تدرك أنه أمر من شأنه أن يغيّر مجرى حياته.

أجــاب طيف جوني بالنيابة عن أخيه: "ليس بعد. لكن قريباً، أعدك". لم تكن ترغب بممارسة أي ضغوط، لكنها شعرت بالأسى

لأنها لن تستطيع أن تخبر جيم بما جرى، مع أنه من الأفضل أن تحترم رغبات طيف جوني".

جلسوا على الأرض معاً لوقت طويل يتحادثون بهمس كي لا يسمعهم أحد. وبعد قليل، فتحت شارلوت الباب ونظرت إليهم.

"أمي، الكعك الذي تحضّرينه يحترق". قالت من دون أن تلاحظ وجود طيف أخيها الأكبر، ولا نظرة الفرح في عيني والدتها. كل ما رأته أن والدتها تجلس على الأرض تتحدث إلى بوبي، بينما تبعثرت ألعابه في المكان. "لقد أخرجته من الفرن". قالت شارلوت ذلك، وأغلقت الباب وراءها ثانية. فوقفت أليس، وقبّلت ابنيها ثم غادرت الغرفة متوجهة إلى المطبخ برشاقة لم تعهدها في نفسها منذ سنوات. وكل ما كان يشغل بالها هو كيف سيشعر جيم عندما سيعرف أن باستطاعة بوبي الكلام.

وجّهت نظرها إلى بوبي أكثر من مرة خلال العشاء في تلك الليلة، وبدوره كان يبتسم لها كلما التقت أعينهما. لقد بات بينهما الآن سرّان عظيمان يتعلق الأول بقدرته على الكلام، والثاني بعودة طيف جوني من أجلهما. وكان هذا بمثابة رابط بين أليس وابنها الصغير لم يكن موجوداً بينهما قبلاً. مكث بوبي وطيف جوني معها في المطبخ لوقت طويل بعد أن أنهوا تناول العشاء، دون أن يتفوّهوا بأي كلمة. غير أنها شعرت وكأن قلب بوبي متعلقاً بقلبها، وهو يساعدها في توضيب المكان. وبعد الانتهاء، وقفت وضمّته إليها "كم أحبك يا بوبي". قالت بهمس، ثم ضمّته بين ذراعيها بقوة. ثم أفلت وصعد إلى غرفته بصمت مع طيف جوني.

الفصل الثامن

كانت مناسبة الشكر مناسبة أليمة للجميع، خصوصاً لجيم وشارلوت. لقد شعرت أليس بالأسى لكليهما، وتمنّت لو كان بإمكانهما رؤية طيف جوني والاستمتاع بصحبته كما هو حالها وبوبي. أمضى طيف جوني وقته بين بوبي وبينها، فيما كان يتلذذ برائحة ديك الحبش الذي كانت تعدّه في المطبخ. كان جيم قد تناول من الشراب قدراً يمنعه من مساعدتها في تقطيع ديك الحبش، إذ كانت تخاف من أن يؤذي نفسه بالسكين.

قال طيف جوني بإعجاب: "يا الله، إن رائحته شهية جداً يا أمي، إنه أكبر من ديك الحبش الذي حضّرته في العام الفائت".

قالت بصوت عالٍ: "لم أجد حجماً أصغر منه". وكانت تتصارع مع إحدى العظمات، ثم تلعق أصابعها، فيما كان طيف جوني يتلذذ برائحة مرق اللحم المنبعثة من الوعاء. "انتبه، حتى لا يقع منك".

"ما الذي سيقع؟" سألت شارلوت باستغراب، بعد أن دخلت إلى المطبخ لمساعدة والدتها.

"مرق اللحم، ليس أنت... كنت أتكلم مع...". وارتبكت. لقد نسيت أن شارلوت لا تستطيع رؤية طيف جوني الذي كان يقف بقربها.

سألتها شارلوت بقلق: "مع مَن كنتِ تتكلمين يا أمي؟"

"لا أحد يا عزيزتي، فقط، كنت أفكر بصوت عالٍ". بدت شارلوت منكسرة وهي تنقل أطباق البطاطا الحلوة والحلوى إلى غرفة الطعام. فهي تشعر بالحزن لظنها أن والدتها قد فقدت عقلها؛ وكذلك، لأن والدها فقد وعيه جراء تناول جرعات كبيرة من الشراب على غير عادته في مثل هذا الوقت؛ ولأن جوني قد رحل. تمنّت شارلوت، لهذه الأسباب مجتمعةً لو لم يتم التحضير لهذا الاحتفال هذا العام. وبعد ذلك عادت إلى المطبخ لتحضر طبق الهلام. وعندما دخلت، كانت أمها تصرخ في وجه طيف جوني "توقف!" فظنت شارلوت أن أمها قد فقدت عقلها كلياً. "إن لمست أي شيء بعد الآن سأقتلك". قالت أليس، التي لم تكن قد انتبهت بعد لوجود شارلي خلفها، ممازحة.

"اعتقدت أنك أردت أن أنقل الأطباق إلى الطاولة". قالت شارلوت، بعد أن استدارت والدتها لتنظر إليها بوجه محمرّ.

"أجل، قلت لك ذلك. أنا آسفة... لقد أنهكني تحضير كل هذه الكمية من الطعام".

"أمي، عليك أن تتوقفي عن التكلم مع نفسك بهذه الطريقة". قالت شارلي بعصبية. لقد انقضى شهران وأمها تكلم نفسها. وبالرغم من معرفة شارلوت السبب، وكان، طبعاً، رحيل جوني، إلا أن هذا التصرف ليس طبيعياً ولا صحياً، حتى إن والدها قد لاحظ ذلك، غير أنه لم يُثِر هذا الأمر مع أليس أبداً. لقد أخبر شارلوت أنها تتحدث إلى نفسها دائماً عندما تكون وحدها في غرفة النوم، وأنه دخل الغرفة مرات ومرات وهي تقوم بهذا الأمر.

"أمي، هل أنت بخير؟" سألتها شارلوت، ثم حملت طبق الهلام بيد وطبق اللوبياء باليد الأخرى.

"أنا بخير يا عزيزتي، صدقيني. سأحضر ديك الحبش ثم أنضمّ إليكم بعد دقيقتين؟"

"حسناً، اذهب والعب بعيداً بينما نتناول نحن الطعام". همست لطيف جوني، قبل أن تتركه في المطبخ وتسرع إلى غرفة الطعام وبيدها طبق اللحم.

"لا يمكنني أن أفوّت مناسبة الشكر يا أمي". وبدا منزعجاً لاقتراحها.

همست مجدداً: "ستجعل بوبي يتصرف بغرابة... وأنا سأقول كلمات لا يجدر بي أن أقولها".

قال بجدية: "لن أسيء التصرف، أعدك". ثم تبعها إلى غرفة الطعام ومعها اللحم. لقد كانت مناسبة الشكر المناسبة المفضلة لديه إلى جانب الميلاد.

سكبت أليس الطعام للجميع، وبدا جيم مهموماً أثناء تناوله الطعام. ولم تتفوه شارلوت بأي كلمة. أما بوبي، فقد ابتسم عندما نظر إلى طيف جوني، لكن هذا الأخير حذره ألاّ ينظر إليه، مما جعل أليس تضحك.

"ما المُضحك؟" سأل جيم بغمغمة. فنظرت إليه أليس بحزن. لقد آلمتها رؤيته على هذه الحال، ليس من أجلها فقط، بل من أجل الأولاد، أيضاً. نظر بوبي إليه بخيبة أمل، وهزّ رأسه ممتعضاً.

"لماذا احتسى والدي هذه الكمية من الشراب اليوم؟" سألها طيف جوني بينما كانت تقطّع المزيد من اللحم وتوزّع القطع عليهم.

قالت وهي تضيف المزيد من التوابل على الطبق: "لماذا برأيك؟ لأننا كلنا نفتقدك ونحنّ إلى الماضي، ويؤسفني أنه لا يستطيع رؤيتك أيضاً، لكان ذلك ساعده كثيراً. لماذا تعتقد أنه لا يراك، مثلي أنا وبوبي؟"

أجابها طيف جوني من دون تردد: "لأنه لن يفهم ذلك، أمي".

"لست متأكدة أنني أفهم أيضاً، لكن هذا الأمر يروق لي". قبّلته وعادت أدراجها إلى غرفة الطعام مع المزيد من اللحم لجيم والولدين.

سألها جيم بقلق: "تكلّمين نفسك ثانية؟" حتى وهو ثمل كان بوسعه ملاحظة أنها تتكلم مع نفسها.

"أنا آسفة". قالت أليس، بينما كانت شارلوت تنظر إليها بيأس، لأنها كرهت كون والدها ثملاً، ولأن والدتها تتصرف كالمجانين. لقد كانت مناسبة الشكر من دون جوني مؤلمة. ولم يكن من العدل، في نظر أليس، ألاّ تتمكّن شارلوت من رؤيته أيضاً؛ لكانت تفهّمت الأمور أكثر مما تفعل الآن. أيّاً كان السبب، فلم يكن بمقدور شارلي رؤيته بالرغم من أنه كان قريباً منها لدرجة تجعلها تشعر بشيء ما، لكن ذلك لم يحصل. "أبلغني آل آدامز أنهم سيقومون بزيارتنا بُعيد تناول الديك". قالت أليس للجميع، بمن فيهم طيف جوني!

أردف جيم ممتعضاً: "لماذا عليهم القيام بذلك؟" فكل ما أراده في هذه الليلة أن يأكل الطعام ويشاهد التلفاز ويحتسي شراب الشعير.

أجابت أليس باستنكار: "إنهم أصدقاؤنا يا جيم".

"وماذا يعني ذلك؟ لقد رحل جوني، ولم تعد بيكي صديقته". لم تعلّق أليس على كلامه. وتابع الجميع تناول الطعام، ثم ساعدتها شارلوت بتوضيب المكان. لقد تنفّست الصعداء عندما عادت أليس إلى المطبخ.

"أنا أكرهه". قالت شارلوت عندما وضعت الأطباق على طاولة المطبخ. ودخل بوبي حاملاً صحنه الذي أخذته والدته منه فيما ابتعد جيم عن الطاولة دون أن يتناول فطيرة اليقطين أو القشدة المخفوقة.

قالت والدتها بلطف: "لا يمكنه أن يتغلب على الأمر، شارلي. تعلمين ذلك".

"بلى يمكنه ذلك. لا يجب أن يكون ثملاً طوال الوقت. إنه أمر يثير الاشمئزاز". بدت شارلوت محطمة القلب وتألمت أليس لرؤيتها على هذه الحال.

"إنه يفتقد جوني". قالت أليس وهي تدرك تماماً أنه أيضاً يشعر بالذنب حيال بوبي الذي توقف عن الكلام منذ الحادث.

أجابت بنبرة هجومية: "أنا أفتقده أيضاً. وأنت كذلك. لكنك لم تلجئي لتناول الشراب والثمالة. كل ما تفعلينه هو التحدث مع نفسك. هذا غريب جداً لكنه على الأقل أمر غير مقزز كالذي يقوم به".

فأوضحت أليس بحزم. "لا تقولي مثل هذا الكلام عن والدك".

"لِمَ لا؟ إنه الواقع. أبي سكير، جوني رحل، وبوبي لن يتكلم ثانية". امتلأت عيناها بالدموع وهي تقول ذلك. إلا أن بعضاً من كلامها فقط كان صحيحاً. فقد بدأ بوبي بالكلام مجدداً، ولو لبعض الوقت، وهي تتكلم مع طيف جوني، لا مع نفسها.

"لعلّ والدك يتوقف عن الشرب في يوم من الأيام. تعلمين أن بعض الناس يتمكنون من ذلك".

قالت أليس ذلك وهي تتنهد بينما كانت تقطّع الفطيرة بالرغم من عدم شعور أحدهم بالجوع.

أجابت تشارلي دون اقتناع: "نعم، بالتأكيد". ثم لعقت بعض القشدة المخفوقة عن إصبعها. "سأصدق ذلك حين أراه".

"لقد تحسن وضعه مؤخراً". قالت أليس بتفاؤل، لكن لا يبدو أن شارلوت كانت توافقها الرأي.

"ليس اليوم. لكان حافظ على وعيه في مناسبة الشكر، على الأقل".

تناول الثلاثة القليل من قطع الفطيرة، وجلس طيف جوني إلى الطاولة على كرسي والده الفارغ بين شارلوت وبوبي. وما إن بدأت أليس بتوضيب الطاولة حتى رنّ جرس الباب. كانت هناك بيكي ووالدتها والأولاد الذين دخلوا بصخب. جلس طيف جوني يحدق ببيكي التي بدت رائعة في ثوبها المخملي الأزرق الغامق وشعرها الذهبي يتدلى على ظهرها تماماً كما كان يحبه هو. وشعرت أليس بشيء من الأسى لأجله حين شاهدته يتأملها.

"شكر سعيد لكم جميعاً!" قالت بام وهي تناول أليس فطيرة التفاح التي حضرتها بيكي صبيحة هذا اليوم. "كيف كان العشاء؟"

"كان جيداً". قالت أليس بهدوء فيما رافقت شارلوت بيكي وأخواتها إلى غرفتها وتبعهم طيف جوني بصمت. اقترحت أليس حينها أن يرافق بوبي الصبية إلى غرفته وتبعتها بام إلى المطبخ. كان بإمكان بام أن تلاحظ كم كانت مناسبة الشكر قاسية بالنسبة

لهم، وتذكرت كم كان الأمر كذلك بالنسبة لهم في السنة الأولى بعد وفاة مايك. كانت كل المناسبات تؤلمهم وكان واضحاً أن هذه إحداها. في منزلهم، كانت بيكي تبكي حيناً وتتوقف حيناً خلال العشاء، وتعبّر عن مدى اشتياقها لجوني.

"أين جيم؟" سألت بام. فأومأت أليس برأسها إلى غرفة الجلوس حيث كان بإمكانهما أن تسمعا صوت التلفاز المرتفع.

"إنه يشاهد مباراة كرة قدم. لا يبدو لي بحالة جيدة أيضاً، ولا أعتقد أن أحداً كذلك". وبالرغم من أنه كان بإمكانها هي وبوبي أن يريا طيف جوني، إلا أنه كان مؤلماً أن ترى مدى تأثر الآخرين بغيابه.

"إنّ المناسبات مؤلمة في السنة الأولى. حتى أنّ الميلاد سيكون أسوأ. تحضّري لذلك". هزّت أليس رأسها موافقة وتابعت غسل الصحون.

"كيف تسير حياتك؟" سألتها أليس بعد أن حضرت القهوة وصبتها بام.

اعترفت بابتسامة خجولة: "مثيرة. أنا لست متأكدة مما يحصل، أو ما يعنيه ذلك، لكنني أعتقد أنه يروق لي. ما زلت أخرج مع غافن، وأنا حقاً أحبه".

"أنا سعيدة من أجلك". قالت أليس بينما كانت تجلس إلى طاولة المطبخ أخيراً، بعد أن وضعت كل الصحون في غسالة الصحون. لقد كان أمراً جيداً بالنسبة لكليهما أن يجدا شخصاً يتحدثان إليه.

"إنه رائع مع الأولاد ولطيف معي. لقد مضى وقت طويل منذ أن ذهبت إلى أي مكان أو فعلت أي شيء. يصطحبني للعشاء كل

ليلة سبت. ربما لا يعني ذلك شيئاً، لكنه صديق جيد ومن الجيد أن أجـد سبباً لأرتدي ثياباً أنيقة وأسرّح شعري. من الممتع أن أكون أكثـر مـن مجرد أم وسائقة خصوصية، فقط على سبيل التغيير. حتـى إنه يلعب البايسبول مع الصبية صباح كل أحد". ما قالته بام جعـل ألـيس تتساءل إن كان يبيت عندها، وضحكت عندما رأت تعابيـر صديقتها. "يبيت غافن عند أحد أصحابه هنا". ثم ضحكت الاثنتـان وتحدثتا لوقت طويل وهما جالستان إلى طاولة المطبخ، لتصعدا أخيراً لتفقد الأولاد.

كانـت فتـيات آل آدامز يجلسن على سرير شارلوت وعلى الأرض، وفـيما كـن يتحدثن، كان طيف جوني يجلس إلى مكتب شـارلوت ويبتـسم. لم يكن يستطيع أن يزحزح عينيه عن بيكي. ومـن الباب، ابتسمت أليس له. خلال حياتها كلها، ما كان ليوافق على أن يتواجد مع مجموعة من الفتيات كما يفعل الآن. لكن الأمر مختلف الآن، فهو غارق في حب بيكي ويستمتع بمراقبتها، وكأنه يخزن ذكرى إضافية ليأخذها معه.

بعد ذلك، ذهبت بام وأليس إلى غرفة بوبي حيث سمح لبيتر ومـارك أن يلعبا بإحدى كرات البايسبول خاصته. فاقترحت أليس أن ينـزلا إلـى حديقة المنزل الخلفية ويلعبا بالكرة هناك. وعندما قامـا، لحق بهما بوبي بصمت، فقد كان يحب مرافقتهما. ثم نزلت السيدتان مجدداً إلى الطابق السفلي ورأتا جيم غارقاً في النوم أمام الـتلفاز وإلى جانبه أربع زجاجات فارغة من شراب الشعير. كان فـريق غـرين باي قد أحرز هدفاً للتو بينما هو يشخر بصوت عالٍ.

"كـيف حاله؟" همست بام في طريقهما إلى المطبخ ونظرت أليس من الشباك، وفي هذه المرة، رأت طيف جوني معهم وبوبي يقف إلى جانبه بهدوء، فيما بدأ الصبيان بتسديد الكرة داخل السلة.

أجابت أليس: "ليس على ما يرام، مع أنه تحسن لفترة، إلا أنه لم يكن كذلك في الأيام الأخيرة".

أشـارت بام بحكمة: "إنها الأعياد. وربما سيظل الأمر كذلك بالنسبة إليكم جميعاً إلى ما بعد الميلاد". هزّت أليس رأسها موافقة وتابعتا الحديث لساعة إضافية عن مدرسة التجميل وعن غافن. ثم وقفـت بام أخيراً وقالت إن عليها أن تعود مع الأولاد إلى البيت، لكـن نـصف سـاعة إضـافية انقضت قبل أن يحصل هذا. بعد مغادرتهم، وقف طيف جوني يراقبهم من الباب ثم رجع إلى والدته في المطبخ ليتحدث إليها.

تحـدّث عن بيكي بنبرة يسودها الصدق قائلاً: "بدت جميلة، ألـيس كذلك يا أمي؟ إنها تقول إن باز يعجبها. أنا سعيد لأجلها". لكـن كان واضحاً أن الأمر لم يكن سهلاً بالنسبة إليه. إنّ التخلي عـن بيكي هو أحد أصعب الأمور التي عليه القيام بها الآن، لكنه كـان يعلم أنه عليها متابعة حياتها من دونه. إذ ليس بمقدوره أن يقـدم لهـا شـيئاً. حتى إنها لا تستطيع رؤيته، على عكس بوبي ووالدتـه. لـم يكن لديه من سبيل للوصول إلى بيكي إلا عبر قلبه وأن يتمنى لها مستقبلاً سعيداً.

قالت أليس بلطف: "أعلم أنها تفتقدك. إن الأمر صعب عليها تمامـاً كما هو صعب عليك". أرادت أن تقول إن كليهما سيتجاوز الأمر مع مرور الوقت، وكانت تدرك حتمية حصول ذلك إلا أنه لم

يكن مناسباً أن تقول ذلك. "من الأفضل أن أوقظ والدك". قالت بعدها وهي تتنهد، وهزّ طيف جوني رأسه.

تطوّع طيف جوني لتفقد بوبي، ثم استدار بعد أن تذكر أمراً. "هل ستذهبين لحضور مباراة شارلوت غداً؟" كانت تلعب في فريق مدرستها وكانت المباراة مهمة.

قالت أليس بعد أن أطفأت نور المطبخ: "اعتقدت أننا سنذهب جميعاً".

أضاف طيف جوني مبتسماً: "وأبي أيضاً؟" لقد سرّ لسماعه ذلك.

أجابت والدته دون أي تعبير واضح على محيّاها: "لا، لا يستطيع. عليه الذهاب إلى العمل".

"لا يجب عليه العمل في اليوم التالي لمناسبة الشكر يا أمي. يمكنه مرافقتنا إن أراد". لكنه لم يحضر أياً من مباريات شارلوت البتة، ولا يبدو مهتماً بذلك. بالنسبة إليه، يستحيل أن تكون الفتيات رياضيات ماهرات. إلا أنه كان مخطئاً جداً لأن شارلوت نجمة، أكثر مما كان هو عليه.

وعدته أليس كي تهدئه أكثر من ثقتها بأنه سيفعل ذلك: "سأسأله". صعد بعدها طيف جوني لرؤية بوبي في غرفته، وتوجهت هي إلى غرفة الجلوس وهزّت زوجها بلطف. فتحرك بعد دقيقة بتململ ثم نظر إليها بعينين ضيقتين.

"كم الساعة الآن؟" إذ لم يكن متأكداً إن كان الوقت صباحا أو مساء.

"لقد تجاوزت الساعة العاشرة. هيا، لنصعد إلى غرفتنا". هزّ رأسه ووقف مترنحاً. وبالكاد كان يستطيع صعود الدرج، وكم

تألمت لرؤيته على هذه الحال. "سألحق بك بعد لحظات". قالت له ثم توجهت إلى غرفة بوبي الذي كان في سريره بينما كان طيف جوني يقرأ له قصة وهو مستلق إلى جانبه يتشاركان وسادة واحدة. نظر إليها الصبيان وابتسما. فبالنسبة إليهما، على الأقل، كانت مناسبة الشكر رائعة. همست لهما: "تصبحان على خير أنتما الاثنان، أحبكما". ثم انحنت وقبلتهما. وحذّرت طيف جوني ألا يدع بوبي يسهر كثيراً. وحشر بوبي جسده الصغير بسعادة إلى جانب طيف أخيه فيما أغلقت الباب وراءها بلطف، لتتوجه بعد ذلك إلى غرفة شارلوت التي كانت مستلقية في سريرها تحدق في السقف. سألتها أليس باهتمام وجلست بقربها على السرير، إذ كان واضحاً أنها مستاءة من أمر ما. "هل أنت بخير يا عزيزتي؟"

"أجل، نوعاً ما. من المستغرب سماع بيكي تتحدث عن صديقها الجديد. أعتقد أنها تحبه فعلاً". لكن ذلك جعل شارلي تفتقد جوني أكثر.

شرحت لها أليس بصدق: "إنه أمر جيد. لا يمكنها أن تحزن على جوني إلى الأبد يا شارلي. لن يكون الأمر صائباً. وتقول والدتها إنه لطيف جداً معها. ولو كان جوني موجوداً لأعجبه ذلك. ماذا عن مباراة الغد؟ هل أنت مستعدة لها؟" هزّت شارلوت رأسها دون حماس.

قالت بتململ: "لم يفوّت أبي أياً من مباريات جوني". ولم يكن ذلك اتهاماً بل مجرد كلام. ذلك أنها حازت على العديد من الميداليات، سنة تلو الأخرى وأكثر من تلك التي حصل عليها جوني عندما كان في مثل سنها. "هل ستحضرين يا أمي؟"

انحنت والدتها وقبلتها. "لن أفوّت ذلك مهما كلف الأمر، وسأصطحب بوبي". هزّت شارلوت رأسها ولم تعلّق على الموضوع. فبقدر ما كانت تحب والدتها، غير أنها كانت كمن سيمتلك العالم لو أن والدها حضر المباراة ولو لمرة واحدة. ليته كان يهتم لذلك. لكن كلتيهما كانتا تدركان أنه لا يهتم. فهي ليست جوني.

لم تذكر أليس شيئاً عن الموضوع لجيم في تلك الليلة لأنه لم تكن هناك جدوى من فعل ذلك، فقد كان غارقاً في نوم عميق عندما نامت في السرير، بعد أن احتسى الكثير من شراب الشعير والشراب الفرنسي وأكل الكثير من لحم الحبش. لكنها فاتحته في الموضوع أثناء تناول الفطور، في الصباح.

بينما كان يحتسي فنجان القهوة الثاني، قال بحسم: "لا يمكن للفتيات أن يلعبن كرة السلة. أنت تعلمين هذا".

أجابت منزعجة من كلامه: "أنت لم تفوّت أياً من مباريات جوني على الإطلاق".

"كان ذلك مختلفاً".

"لماذا؟ لأنه صبي؟"

فعلّق جيم وهو يشعر بصداع فظيع: "كان رياضياً ماهراً".

"وشارلوت كذلك. وربما أحسن مما كان هو عليه. لطالما قال جوني عنها ذلك".

"كان يشجعها، فقط".

فسألته بينما كان طيف جوني وبوبي يدخلان المطبخ. "لماذا لا تحضر وترى بنفسك؟ سيبقى لديك متسع من الوقت للعمل. تبدأ

المباراة عند الساعة الرابعة في قاعة المدرسة الرياضية. أعتقد أن حضورك سيعني لها الكثير. كان جوني يداوم على تشجيعها، وأنت تعلم قواعد اللعبة أكثر مني. أعتقد أنه من المهم أن تكون هناك". لم يتفوه بوبي بأي كلمة، كالعادة. وتوقف طيف جوني ليقبّل والده، لكن جيم لم يستطع رؤية ذلك.

"هيا، أليس، لا تكوني بلهاء. لن تشعر بأي فارق".

"بلى، ستفعل". قالت أليس بإصرار، فيما كان طيف جوني يجلس إلى الطاولة إلى جانب والده يحدق به بإمعان. "لِمَ لا تعيد النظر في الأمر؟" قالت أليس وهي تضع طبق الكورن فليكس أمام بوبي الذي لم يبدُ أن جيم لاحظ وجوده. بالنسبة إليه، كان بوبي غير مرئي تماماً كما طيف جوني. منذ أن توقف بوبي عن الكلام، تجاهل والده وجوده لأن الاعتراف به وبالسبب الذي أدى إلى ذلك أمران يؤلمانه جداً.

"لديَّ الكثير من العمل أقوم به مع عميلينا الجديدين. سأعمل طوال نهاية الأسبوع". لكن على الأقل، هذا أمر جيد بالنسبة إليه لأنها كانت تعلم أن وضع عمله يتحسن ببطء. وظلّت تتمنى أنه إذا شعر بتحسن في عمله فقد يتوقف عن الشرب أو يخفف منه على الأقل. لقد بدا التحسن عليه منذ عودة طيف جوني لكن لا يزال هناك الكثير ليتغير.

غادر إلى العمل بعد بضع دقائق، واختفى الولدان في الخارج في مكان ما. كانت أليس وحدها في المطبخ عندما نزلت شارلوت من غرفتها لتناول فطورها لتغادر بعد ذلك للتدريب. بدت على الأقل بروح معنوية جيدة ولم تذكر شيئاً البتة بخصوص والدها.

فهي لم تتوقع حضوره ولم تخبرها أليس أنها تحدثت معه في الأمر وأنها لم تصل إلى نتيجة.

وعند الساعة الرابعة إلا ربعاً، جلست هي وبوبي على المقعدين الأماميين للسيارة وجلس طيف جوني على المقعد الخلفي وراءهما. كان يتحدث عن المباراة بحماس وكان بوبي يبادله الحديث ويضحك معه فيما كانت أليس تبتسم وتستمع إليهما. إذ بدا كحلم أن يتكلم بوبي وأن يعود طيف جوني معهم من جديد.

لم تكن تعلم كم من الوقت سيبقى معهم، إلا أن ذلك هدية ما كانت لتتمنى الحصول على أحسن منها. وعندما وصلوا إلى المدرسة، كانوا في حالة معنوية مرتفعة ومتشوقين لحضور المباراة.

جرت المباراة لصالح فريق شارلوت وكان الرصيد 26 إلى 15 في منتصف الربع الثاني، وكان بوبي يقفز في مقعده محمساً ومصفقاً لشارلوت. أحرزت سلة من ثلاث نقاط وكان طيف جوني مذهولاً بأدائها ولم يستطع أن يصدق ما تراه عيناه. وحينئذ، وبينما كانوا ينتظرون بداية النصف الثاني، رأت أليس هيئة رجل مألوفة بطرف عينها واستدارت فإذا بها ترى زوجها يمر بين الحشود في القاعة الرياضية. بدا متردداً قليلاً، لكنه ابتسم لهم.

"لا يمكنني أن أصدق عيني". وهمست لطيف جوني الذي صفق منتصراً فيما برقت عينا بوبي. كادت أليس تبكي عندما رأت تعابير شارلوت حين رأت والدها. فقد كانت تلك المباراة الأولى التي يحضرها. "كيف تمكنت من فعل ذلك؟" همست لطيف جوني قبل أن يصل جيم إليهم.

"لأكون صريحاً معك، لست متأكداً. لقد فكّرت في ذلك ملياً، وتمنيت حصوله منذ لحظة وصولنا إلى هنا. ربما سمعني أو شعر أنه يجب عليه ذلك أو حصل أمر ما". كان جوني لا يزال غير قادر على فهم تأثيره على الأحداث.

في هذه الأثناء، وصل جيم وجلس بين زوجته وبوبي لكنه لم يقل شيئاً للطفل الذي تسمّرت عيناه على شارلوت. وفجأة بدا جيم متحمساً جداً لأدائها وكأنه لم يرَ مثيلاً له من قبل.

قالت أليس بفخر وهزّ رأسه موافقاً: "إنها تلعب بمهارة فائقة".

سددت شارلوت سلة أخرى مع بداية النصف الثاني، ولم يعلّق جيم على ذلك بل راقبها فقط. لكنها أحرزت ثلاث نقاط إضافية بضربة رائعة في الدقيقتين الأخيرتين من المباراة، وصفق الجميع لها لأن فريقها سحق الفريق الآخر، وقد سجلت شارلوت عشرين نقطة من المجموع العام. رفعها أعضاء الفريق على أكتافهم عندما انتهت المباراة. وعندما استدارت أليس نحو الجمهور المشجع، رأت جيم يرسم ابتسامة عريضة على وجهه. فهي لا يمكنها أن تتذكر متى كانت آخر مرة رأته سعيداً. كان فخوراً جداً بابنته وكأنه يراها للمرة الأولى. وأخيراً، اكتشف مهارتها.

"لقد كانت مباراة مذهلة، أليس كذلك؟" قال لأليس التي هزّت رأسها موافقة بينما الدموع تنهمر من عينيها. وبعد بضع دقائق، انضمت إليهم شارلوت التي بدت سعيدة ومتحمسة لرؤية والدها.

قالت بخجل: "شكراً لحضورك يا أبي".

أضاف بخشونته المعهودة، بينما كان يهزها بلطف كالدب الذي يداعب جروه، فخوراً بإنجاز ولده:

"لقد كنت رائعة، شارلي. إنني فخور بك، حقاً!" ووضع إحدى ذراعيه حول كتفيها.

لحقوا بها إلى خارج القاعة الرياضية بعد أن بدلت ثيابها ولم تستطع رؤية طيف جوني بالرغم من أنه كان يلفها بذراعه، وقد بدت مهمومة وهي تفكر فيه.

في طريق عودتهم إلى المنزل، قال والدها مستذكراً: "أتعلمين، لقد لعب جوني مباراة كهذه ذات مرة، وحاز على ميدالية لأدائه فيها".

"أعتقد أن لدينا فرصة للانتقال إلى النهائيات هذه السنة". قالت ونظرة امتنان في عينيها لاهتمام والدها. فقد كان أمراً جديداً بالنسبة إليها، لكنه كان ممتعاً.

وعدها جيم، الذي لم يستطع أن يخفي تأثره بالمباراة التي حضرها للتو: "إن وصلتم للنهائيات، سأحضر المباريات". لقد كانت شارلي تملك موهبة رياضية حقيقية، أكبر مما تصور بكثير.

توقفوا لشراء بعض الحاجيات في طريق عودتهم إلى البيت. ولدى وصولهم، كان قد حان وقت تناول العشاء: فانشغلت أليس في المطبخ، وخرج بوبي إلى حديقة المنزل الخلفية مع شارلوت لتسديد بعض الكرات في السلة، فيما راقبهما والدهما مشجعاً وموجّهاً، ثم انضم طيف جوني إليهم بضع دقائق، عاد بعدها إلى المطبخ ليتحدث مع والدته.

تحدث بسعادة تعكس ما كان يشعر به: "كان رائعاً حضور والدي اليوم، أليس كذلك؟" فقد كان يدرك معنى ذلك بالنسبة إلى شارلي. حتى إن والدهم فهم ذلك وصعق بأداء شارلي المتميز مما جعله يعدها بحضور المباراة التالية.

قالت أليس بصوت خفيض حتى لا يسمعها أحد. "أعتقد أن لدى طيفك قوة أكبر مما تظن. ما تفعله يؤثر فينا جميعاً... انظر إلى بوبي، ووالدك الذي سيحضر المباراة، إن ذلك كالسحر". كانت لمساته اللطيفة والمُحِبة تغيّر حياتهم نحو الأفضل، الواحد تلو الآخر.

"إن بوبي جاهز يا أمي. خمس سنوات بلا كلام، وقت طويل". كانت تدرك ذلك تماماً لأن جيم بدأ الإدمان على معاقرة الشراب، بشكل يومي، منذ أن توقف بوبي عن الكلام.

"متى سنخبر والدك عن قدرة بوبي على الكلام؟" سألته أليس بإلحاح، وتمنت لو يكون ذلك قريباً، لأنها تعلم كم سيعني ذلك لجيم.

"ليس الآن. فبوبي غير جاهز، لكنني أتمنى أن يصبح جاهزاً في القريب العاجل. لا تزال لدينا بعض العقبات".

سألت بارتباك: "ماذا يعني ذلك؟"

"في الحقيقة، لست متأكداً يا أمي. أنا أشعر بالأمور، فقط. لا أعلم لماذا، وأنا غير متأكد أبداً من كيفية سير الأمور. أنا فقط أفكر بالأمور والحلول تأتي وحدها إلا أنها تحصل كما فكّرت بها. لكنني أعلم أن بوبي بحاجة إلى بعض التدريب على الكلام وعليه أن يكون مستعداً لإخبار والدي". كانت أليس تعلم أن ذلك سيكون بمثابة هدية الحرية لجيم؛ إذ ستحرره من الإحساس بالذنب وقد تغير مجرى حياته وحياتهم. كانت بالكاد تستطيع انتظار حصول ذلك. لكن طيف جوني أصر أن الوقت لم يحن بعد لإخبار جيم، ولسبب ما، كانت تدرك أن عليها احترام رغبته، ورغبة بوبي

كذلك. إذ بدا أن طيف جوني يعي بحق ما يفعله والنتائج جيدة حتى الآن. أراد لانتصاراتهم أن تكون أكثر ثباتاً ولم يكن يرغب بأن يشعر بوبي بالفشل إن حصل أمر ما أو أن يتوتر إذا ما تلعثم.

بعد نصف ساعة، كانت قد حضرت لهم العشاء على الطاولة. تحدث جيم باقتضاب مع شارلوت حول المباراة، مشيراً إلى أنه كان بمقدورها إحراز المزيد من النقاط لو أن أداءها كان أكثر انضباطاً. كانت ملاحظاته صائبة وتأثرت بها شارلوت آنياً، فقد كان ذلك كل ما تتمناه. لقد أُزيل الحاجز الذي لطالما فصل بينهما، وخطا والدها خطوة عملاقة إلى عالمها. فقد حصلت بعد طول انتظار على الحب والرضا اللذين تمنّتهما دائماً.

قالت بحماسة للاهتمام الذي كان يعيرها إياه أبوها، وعيناها متوهجتان لذلك: "سأحاول يا أبي". فقد بدا ذلك كالأحاديث التي كانت تدور مع جوني. ففجأة أصبح يحترمها ويقدر مهارتها في الرياضة. وبات عليه لمرة أن يعترف أنها فتاة صغيرة لكنها رياضية ماهرة. كان قبوله للأمر يشع من عينيه، وبينما كانت شارلوت تصغي إليه، بدا وكأنها قد حصلت على ماسة تحقيق الأماني. كانت أسعد فتاة في العالم.

في اليوم التالي، اقترح جيم، بعد عودته من العمل، اصطحاب شارلوت إلى أحد المقاهي، ولأول مرة، بدا وكأنه لم يتناول الشراب قبل عودته إلى البيت. ابتسمت أليس لدى مغادرتهما، وأسرعت شارلوت إلى سيارة والدها وطرحت عليه عدة أسئلة عن أنواع الرياضة التي مارسها في شبابه بينما كان يُشغل محرك السيارة. وبعد لحظات، رأت أليس السيارة تبتعد وخرجت لتشاهد

طيف جوني مع بوبي. ما رآه للتو كان بمثابة معجزة بالنسبة إليهم، وبدا وكأن جيم الذي لم يُعِر شارلوت أي اهتمام أبداً، يحاول التعويض لها عن ذلك الآن.

انتظرت أليس عودتهما لتبدأ بتحضير العشاء، لكنها فوجئت حينما تجاوزت الساعة السابعة، وقد مضى على وجودهما خارج المنزل نحو الساعتين ولم يعودا، وعند الساعة الثامنة أحست بالذعر، إلا أنها شعرت بأكثر من ذلك حينما اتصل أحدهم عند الساعة الثامنة والنصف، من المستشفى وأخبرها أن شارلوت وجيم كانا هناك وأنهما بخير، إلا أن شارلوت مصابة برضوض خفيفة في رأسها.

"ماذا جرى؟" سألت أليس بذعر فيما كان الصوت على الهاتف يشرح لها الأمر. لقد تعرضا لحادث سير خفيف بعد أن اصطدم جيم بشاحنة متوقفة إلى جانب الطريق، من دون أن يصاب هو بأي أذى. لكن رأس شارلوت اصطدم بزجاج السيارة الأمامي، وبعد مراقبتهم إياها لبعض الوقت، قرروا إرسالها إلى المنزل مع والدها. وما إن انتهت من المكالمة الهاتفية حتى أخبرت طيف جوني بما حصل. كانت عندئذ قد أطعمت بوبي سندويشاً ليذهب بعدها إلى غرفته وينجز بعضاً من فروضه المنزلية. لذلك لم يكن هناك من داعٍ لتقلق بشأن إخافته عندما تخبر طيف جوني عن الحادث وقد صفر طيف جوني بقوة عندما أخبرته بالأمر.

بدت مرتبكة وسألها طيف جوني: "هل كان يشرب يا أمي؟"

"لست أدري. كان في كامل وعيه حين غادرا". لكن، كلاهما كان يعلم أنه قد يتوقف عند إحدى الحانات ويتناول بضع كؤوس

مـــن شــــراب الـــشعير أو غيرها. وقد يكون أصيب بثمالة تكفي للاصـــطدام بسيارة أخرى. وفي تلك اللحظة، أدركت أليس أنه قد طفح الكيل لأنه خاطر بحياة أحد الأولاد للمرة الثانية، ولأنّ الخطر الناجم عن معاقرته الشراب بات أمراً لم تعد تستطيع احتماله.

كانت لا تزال غاضبة من نفسها ومن جيم حين وصل الأخير إلـــى البيت مع شارلوت بعد ساعتين. كانت غاضبة لدرجة أنها لم تستطع أن تتكلم معه. كل ما أخبروها به هو أن على شارلوت أن تخلد للراحة لبضعة أيام وألاّ تعرض نفسها لأي مجهود وطمأنوها أنـــه بإمكانهـــا المشاركة في لعب كرة السلة ثانية في عطلة نهاية الأسبوع القادم. لكن ذلك لم يكن ما اهتمت له أليس، فهي تعلم أن شارلوت كادت أن تُقتل.

كانت التعابير التي ظهرت على وجه جيم حين دخل تقول كل شيء. لقد كان وجهه رمادياً ولم يقل أي كلمة لزوجته، لكنه صبّ لنفسه فنجاناً من القهوة ونظر إليها مطولاً وحاول جاهداً أن يتفهم ردّ فعلها عندما نزلت إلى الطابق السفلي بعد أن وضعت شارلوت فـــي سريرها. بدت أليس متشنجة، مما جعل طيف جوني ينسحب بهـــدوء ويصعد إلى غرفة بوبي مجدداً. فقد كان ينتظر مع والدته فـــي المطبخ عندما عاد جيم وشارلوت إلى البيت. سألته بغضب: "هـــل تـــدرك أنك كدت أن تتسبب في مقتلها؟" لم يُجب. فكلاهما يـــدرك عـــواقب حوادث السير التي حصلت لشارلوت. ثم تابعت بحزم وغضب: "لن أدعك تقود السيارة برفقة الولدين بعد الآن، إن كـــان ليس بمقدورك أن تكون مسؤولاً. يمكنك أن تشرب بقدر ما تريد، لكن دون أن تكون في السيارة مع ولديّ". فجلس إلى طاولة

المطـــبخ وبـــدا كـــرجل مهزوم لأنه أخاف نفسه وشارلوت حتى الموت.

"أعلم، لديك كل الحق في قول هذا، وأن تكوني غاضبة مني جـــداً". وإن كـــان هناك شيء واحد يشتركان في معرفته فهو ثمن حوادث سير كهذه. فقد عاشا ذلك بحذافيره مع بوبي. حتى إن جيم لم يتعافَ منه حتى الآن ولا حتى ابنهما.

"لـــن أسامحك أبداً إن حصل حادث كهذا لأحد الولدين". قالت أليس موجهة نظرها إليه مباشرة، وكانت الدموع في عينيه عندما استدار بعيداً عنها.

"اسمعي، لقد فهمت ما قلته، ويساورني إحساس فظيع. لست مضطرة لقول المزيد يا أليس. لقد قلت كل هذا لنفسي بعد أن وقع الحـــادث. لقـــد تـــناولت القليل من شراب الشعير قبل عودتي إلى البيت". وكان بإمكانها أن ترى أنه يلوم نفسه على ما حصل.

"ســـأقول الكثيـــر يا جيم إن فعلت ذلك ثانية. إن شربت فلا تصطحب الولدين في السيارة وإن فعلت، سأتركك وآخذهما معي". وكانت المرة الأولى التي تتفوه فيها بشيء من هذا القبيل.

بدا مذعوراً مما قالته. "هل أنت جادة؟" وكان واضحاً له أنها تعني ذلك. إذ انفطر قلبها عندما اتصلوا من المستشفى.

"اسمعيني. لقد قلت لك إن هذا لن يحصل ثانية". رمقته بنظرة طويلة قاسية، ثم خرجت بصمت من المطبخ، وتوجهت إلى غرفة نومهما في الطابق العلوي، وأغلقت الباب.

لحق بها جيم بعد بضع دقائق دون أن ينبس ببنت شفة، ولأنّ ألـــيس لـــم تبدِ أي رغبة في التحدث إليه، تمدد في السرير وأطفأ

الــنور. كان بإمكان أليس أن تسمع حركة طيف جوني وبوبي في الغرفة المجاورة، لكن جيم كان منهكاً جداً بسبب ما شعر به إثر ما جــرى ذلك المساء. لذلك بدا وكأنه لا يسمع شيئاً، وقد غرق في النوم، في غضون دقائق.

الفصل التاسع

فـــي اليوم التالي، استمر التوتر بعد الحادث الذي حصل مع جــيم وشـــارلوت، الأمــر الذي حال دون تكلم جيم وأليس أثناء تــناولهما الفطــور. كان بوبي صامتاً كالعادة وشارلوت نائمة في سريرها. وبعد أن نظفت أليس الصحون، وقف جيم يراقبها لبعض الوقت محاولاً أن يستجمع قوته ليتكلم معها، لكنه كان واضحاً أنها لم تكن تريد ذلك.

"أنا ذاهب إلى المكتب اليوم"، قال متوقعاً أن يصدر عنها ردّ فعــل ما، غير أن ذلك لم يحصل. بل استدارت نحوه ونظرت إليه بصمت. "هل سأجدك أنت والولدين؟ أعني أنت وشارلوت و...". اختفى صوته حين رأى الألم والاتهام في عينيها. إذ بات واضحاً أنهـــا شعرت بالخيانة من جانبه. "اسمعي، اللعنة، أنا لم أفعل ذلك عن قصد".

"لم يكن يجدر بك أن تشرب خلال مرافقتك لها. كان بإمكانك الانتظار حتى ترجعا إلى البيت".

قـــال بغـــصة: "أعلـــم هذا. كنت مسروراً بأداء شارلي في المـــباراة. ستكون بخير، أليس. أنا لم أقتلها". حاول أن يدافع عن نفسه، لكنه فشل. كان كلاهما يدرك أنه مخطئ.

"إن كنت تريد المخاطرة بحياتك، وبالرغم من أنه أمر لا يعجبني، إلا أنه شأنك. لكن ليس لديك الحق في اتخاذ قرارات مماثلة نيابة عن الولدين".

أجابها وهو يشعر بالضعف والخذلان. "لن أفعل ذلك ثانية". لقد كره إحساسه أنه ضايقها وأن شارلوت تأذت.

قالت بنبرة لم يعتَد سماعها من قبل: "لا، لن تفعل. لأنني لن أسمح لك". لم يعلّق على كلامها. وبعد بضع دقائق، غادر ودخل طيف جوني إلى المطبخ ونظر إلى وجه والدته باهتمام.

قال بحزن: "أكره أن أراكما متخاصمين".

"أتلومني؟ لقد كاد يقتل أختك".

"علّه يكون قد تلقن درساً هذه المرة". لكن، بما أنه لم يتعلم الدرس قبل خمس سنوات عندما أوشك بوبي على الغرق، لذا بدأت أليس تعتقد أنه لن يفعل. فقد أصبح إدمانه الشراب جزءاً دائماً من حياتهم، ولم يكن هناك من أمل لتغيير ذلك. وللمرة الأولى – الليلة الفائتة – بدأت تتقبل هذا الأمر من دون أن يعجبها ما يعنيه ذلك بالنسبة لما يتعلق بمستقبلهم. لطالما ظنت أنه سيتوقف عن الشرب تدريجيا أو فجأة، لكنه لم يفعل. بل على العكس، لقد ازداد الأمر سوءاً على مرّ السنين، منذ حادثة بوبي. لقد فقدوا جوني ولم تكن لديها النية بأن تخسر ولديها الآخرين؛ أو تخسره هو إن قرّر أن يقود السيارة ثملاً. "أنا آسف يا أمي". قال طيف جوني بحزن. فقد آلمه أن يراها قلقة إلى هذا الحد.

صعدت بعد ذلك إلى الطابق العلوي لتتفقد شارلوت، وبعد قليل، رجعت إلى المطبخ لتحضير الفطور. مرّت بام لتطمئنّ عليها

بعد ظهر ذلك اليوم، وقد كانت على موعد مع غافن تلك الليلة، فأصيبت بالذعر عندما أخبرتها أليس بما حصل لشارلوت.

كانت أليس لا تزال منزعجة عندما وصلت بام، لكنها لم تخبرها أنها أخبرته بأنها ستتركه إن عاد إلى فعلته هذه. تحدثتا قليلاً، وبعد مغادرة بام، اصطحبت أليس بوبي لتناول الآيس كريم ثم عادت لتحضير العشاء. وعند الساعة السابعة، لم يكن جيم قد رجع إلى البيت بعد، فاتصلت بالمكتب لكنها لم تجده هناك أيضاً. فافترضت أنه في طريق العودة إلى المنزل. لكن بعد مرور ساعة أخرى دون أن يتّصل بها توتّرت، ولم تمنع نفسها من التساؤل إن كان قد كذب عليها ولم يذهب إلى المكتب أساساً وأنه يواعد إحداهن، أو ربما كان ثملاً لدرجة أنه لم يتمكن من القيادة ليعود إلى البيت. ولأنه بات من الصعب توقّع ما قد يفعله وهو ثمل، شعرت أليس أنّ حياتهم قد اتخذت منحى جديداً.

عاد إلى البيت في الثامنة والربع وهو يبدو متوتراً وغير مرتاح، وتفاجأ لدى رؤيته بوبي وأليس يتناولان العشاء إلى طاولة المطبخ. نظرت إليه دون أن تقول أي كلمة لكنها استطاعت أن ترى بلحظة أنه في كامل وعيه.

"أنا أعتذر. لم أدرك أن الوقت قد تأخر، لقد غادرت المكتب للتو إذ كان عليّ متابعة بعض الأعمال". وكان التوتر بينهما واضحاً جداً.

قالت بعينين مليئتين بالاتهام: "لقد اتصلت بك قبل ساعة". ومما زاد التوتر أنها كانت لا تزال غاضبة منه بسبب ما جرى الليلة الماضية.

قال جيم دون أن ترد عليه: "كان عليَّ التوقف في مكان ما أثناء عودتي إلى البيت. قلت لك إنني آسف". سكبت له الطعام في طبق بينما كان بوبي يراقبهما. فقد كان بإمكانه معرفة أن أمراً فظيعاً قد حصل بين والديه، فهرع مسرعاً إلى غرفته، وجلس جيم في غرفة الجلوس أمام التلفاز دون أي زجاجات شراب، الأمر الذي أدهش زوجته. لم يظهر طيف جوني طوال فترة بعد الظهر، وكان كذلك منشغلاً في المساء، لذلك لم تجد أليس من تتحدث إليه. وتمنت لو أن طيف جوني موجود. لكنه لم يظهر ثانية حتى الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة. حينها، كان جيم قد صعد إلى غرفة النوم دون أي كلام وظلّت أليس في الطابق السفلي تحتسي فنجاناً من الشاي.

"أين كنت؟" سألته وكأنه كان مواعداً إياها ونسي الموعد. فقد كانت تنسى أحياناً أنه لا يجب عليها أن تقلق بشأنه بعد الآن، فقد حصل الأسوأ.

قال مبتسماً: "كنت مع باز وبيكي. لقد اصطحبها إلى مكان جميل فعلاً. إنه يصطحبها إلى أماكن أفضل من تلك التي كنت أختارها لها". وضحكت لغرابة الموقف. ومجرد جلوسه معها إلى طاولة المطبخ حسّن مزاجها وخفّف من التوتر الذي كان يعم البيت منذ الليلة الماضية.

سألته بتعجب: "هل يفترض بك أن ترافقهما هكذا؟" فقد بدا غير منزعج من ذلك، بل كان سعيداً من أجلها عوضاً عن شعوره بالغيرة.

"لم يمنعني أحد من ذلك. لا تزال تتحدث عني كثيراً يا أمي".

قالت أليس بلطف: "أعلم أنها تفعل. لقد أحببتك فعلاً". ولا زالت. كانت أليس تعلم ذلك لكنها لم ترد أن تخبره بالأمر، إذ لم يكن هناك من جدوى في الحديث عن ذلك، خصوصاً بعد شعوره بالسعادة لإنجاحه موعد بيكي.

أضاف طيف جوني: "لقد استمتعا بوقتهما. إنه لطيف معها، ويحاول إقناعها أن تعمل على تقديم منحتها حيث يدرس حتى ترافقه في الدراسة. وقالت إنها تحاول ذلك دون أي تفاؤل منها بأن ذلك سيحصل. سيكون ذلك رائعاً، إن حصل". هزّت أليس رأسها وهي تراقبه ثم استدار نحوها والقلق بادٍ عليه.

"كيف كان حال والدي الليلة؟ هل تصالحتما؟"

"ليس فعلياً. لقد عاد متأخراً مرة أخرى لكنه على الأقل لم يكن ثملاً". كان بإمكانها التحدث معه بصراحة لأنه على قدر كافٍ من النضج ليفهم حقيقة التوتر بينهما. ومع ذلك، لم تخبره بشكّها أنه لم يذهب إلى العمل بتاتاً أو أنه كان يخونها.

رجاها طيف جوني: "امنحيه بعض الوقت يا أمي، فهو مستاء من الأمر مثلك تماماً. هو فقط لا يعرف ماذا يفعل".

أجابت بمرارة وغضب: "عليه الذهاب إلى مركز تأهيل المدمنين".

"قد يفعل ذلك. لعلّ الحادث أيقظه".

تابعت بمرارة وغضب: "كان عليه أن يستيقظ قبل خمس سنوات بعد حادث بوبي. يبدو لي الوقت متأخراً قليلاً الآن". فبدا طيف جوني حزيناً.

"لا تكوني قاسية عليه إلى هذا الحدّ يا أمي". وما إن قال لها

ذلك حتى فتح الباب ودخل والده. كانت أليس على وشك أن تقول شيئاً لطيف جوني عندما رأته فتوقفت قبل أن تكمل إلى النهاية. ظنته نائماً، لكنه نزل إلى المطبخ لتناول بعض الطعام.

سألها بإعياء: "أما زلت تكلمين نفسك؟" فقد ضبطها على هذه الحالة عدة مرات في الفترة الأخيرة. وقد كان بإمكانه سماع صوتها من الغرفة المجاورة. قال بينما كان يغادر المطبخ ويرجع إلى غرفته: "عليك أن تستشيري طبيباً في هذا الشأن". وبعد دقائق قبّلت أليس طيف جوني، وتمنّت له ليلة هانئة، ولحقت بزوجها.

كانا في السرير جنباً إلى جنب قبل أن يبدأا بالكلام مجدداً. "كيف حال شارلوت اليوم؟" بدا قلقاً وهو يسألها.

"إنها نائمة منذ بعد ظهر اليوم. كان بإمكانك أن تذهب إلى غرفتها في الصباح وتطمئن عليها بنفسك". لكنه كان يخبئ نفسه منها ويشعر بحرج شديد مما جرى بالرغم من أنه اعتذر لها في الليلة الفائتة طوال طريق عودتهما من المستشفى وطمأنته أنها بخير. لكن الخطر الذي تعرضا له بسببه أزعجه كثيراً. فهي لم تكن تريد أن تزيد الأمور تعقيداً أكثر مما هي عليه في البيت، وشكرته مجدداً لأنه حضر المباراة واصطحبها في نزهة. الأمر الذي جعله يشعر بالذنب أكثر من أي وقت مضى.

قال بغموض: "سأتحدث إليها غداً" ثم أطفأ النور، واستلقى قرب أليس لوقت طويل مستيقظاً يفكر في حياته.

كانت أليس قد غرقت في نوم عميق عندما حشر جسده إلى جانبها وغرق في نوم عميق حتى الصباح. وعندما دخل ليرى شارلوت، كانت لا تزال نائمة. ولأنّ أليس ذهبت إلى دار العبادة،

كان بوبي يجلس في المطبخ يتحدث إلى طيف جوني، لكنه لزم الصمت حين سمع خطوات والده تقترب.

لم يتفوه جيم بأي كلمة، بل صبّ لنفسه فنجاناً من القهوة، وبدأ يقرأ الجريدة وكأن بوبي غير موجود في الغرفة معه. فجلس طيف جوني بصمت يراقبهما. كان طيف جوني لا يزال يجلس معهما إلى الطاولة، وبدا منهمكاً جداً، وكأنه يركز في أمر ما. وبعد أن انتهى والدهما من قراءة الصحيفة، وضعها على الطاولة ونظر إلى بوبي وكأنما خطرت له فكرة.

"سترجع والدتك قريباً". قال مطمئناً بوبي وكأنه ولد تائه أو طفل غريب دخل إلى مطبخهم. إذ ليس لديه أي فكرة عن كيفية الكلام معه. وبما أن بوبي لا يستطيع التواصل، بالنسبة إلى جيم، لم يجد من جدوى للحديث معه. وكان بوبي يدرك ذلك رغم وجود بعض الكلمات التي يود أن يقولها له، إلا أنه كان يعلم عدم استطاعته ذلك. وحتى الآن، وبالرغم من أنه بدأ يتكلم مع طيف جوني ووالدته ثانية، كان يعرف أن والده لن يتفهم الأمر. سأله جيم: "هل تناولت الفطور؟" هزّ بوبي رأسه بينما تنهّد والده. "ليس من السهل التكلم معك". قال جيم دون أن يشعر بأي انزعاج لأول مرة منذ سنوات. فهو لم يشرب منذ يومين تقريباً. "لماذا لا تجيبني، أو على الأقل تحاول؟ ألا تعتقد أنك قد تستطيع الكلام إن أنت أردت ذلك؟ أراهن أنك تستطيع". كان يتمنى أن يتكلم الطفل معه، لكن لم يصدر أي صوت من بوبي. "أنت حتى لا تحاول". قال مبتسماً بينما كان طيف جوني يمسك يد أخيه بلطف وكأنه يطمئنه أن كل شيء سيسير على ما يرام، وأنه لا يجب أن يخاف من والده.

ملأت الدموع بعدها عيني جيم بينما كان يغادر الغرفة. كانت حـياتهم تنهار. وجلس بوبي في المطبخ لوقت طويل ثم صعد إلى الطابـق العلوي بهدوء ودخل إلى غرفة جوني حيث مكث لوقت طويل يتحدث مع طيفه بهمس ويتأملان الميداليات التي حاز عليها. فأوقـع شيئاً وبعد دقيقة، فتح الوالد باب غرفة جوني فرأى بوبي هناك.

"ماذا تفعل هنا؟ لا يوجد ما يهمك هنا. عد إلى غرفتك". قال معنفاً إياه، ولما امتلأت عينا بوبي بالدموع، همس له طيف جوني أنـه سـيذهب معه وأنه لا يجب أن يخاف من والده وأن الأمور ستكون على ما يرام. المشكلة أن غرفة جوني أصبحت أخيراً في رأي جـيم مكانـاً عزيزاً، ولم يكن يود أن يرى أياً من أغراضه محطماً أو في غير مكانه.

خـرج بوبي بصمت من الغرفة التي كانت نظيفة وموضبة لأن ألـيس كانـت تنظفها مرة في الأسبوع ولم يكن جيم يدخلها كثيراً، الأمر الذي لم يجعله يلاحظ نقل بعض الأغراض وتوضيب البعض الآخر مؤخراً، بعد أن راح طيف جوني يمضي الكثير من الـوقت فـي غرفته يفتش بين أغراضه وأوراقه. لقد كانت هناك صور له ولبيكي ورسائل ومذكرات كان يكتبها عندما كان صغيراً. كانـت كلها لا تزال موجودة هناك تماماً حيث تركها قبل رحيله. وبعد بضع دقائق، جلس جيم على السرير وانهمرت الدموع على خديه ونظر حوله. لقد مضت خمسة أشهر على رحيل جوني وكان مؤلماً للغاية رؤية الغرفة كما كانت عليه في وجوده. كانت سترة جونـي الرياضية ملقاة على الكرسي حيث تركها بعد أن ارتداها

ذلـك اليوم. جلس جيم هناك لوقت طويل ثم انتصب واقفاً، وأغلق الـباب بلطف وغادر الغرفة. وما إن فعل حتى رأى أليس تصعد السلالم، فعلمت أين كان لكنها لم تعلّق على الموضوع.

مـرّت قـربه، ودخلـت غرفة شارلوت لتتفقدها وكانت قد اسـتيقظت لتوها وقالت إنها جائعة وإنها تشعر بتحسن. نزلت إلى الطابـق الـسفلي لتتناول الفطور وهي ترتدي ثوب حمام وردي اللون، وابتسمت حين رأت والدها. كانت لا تزال تستمتع بالحماس الذي أظهره لأدائها في المباراة مما جعل الرضوض التي أصيبت بها في رأسها أقل أهمية بكثير.

"كـيف تـشعرين يـا شارلي؟" سألها بصوت أجش من أثر الدموع التي ذرفها للتو.

"أحـسن. ماذا عنك يا أبي؟" كان هناك بريق جديد في عينيها عندما نظرت إليه. لقد شاركها فوزها.

"أنـا بخيـر". ما عدا أن أليس لم تكلمه منذ يومين؛ منذ أن شرب للمرة الأخيرة.

اختلى كلٌّ بنفسه لبقية اليوم وعند الساعة الرابعة، غادر جيم البيت ليعود بعد ساعتين دون أن يذكر لأليس شيئاً عن المكان الذي ذهـب إلـيه. فاعتراها القلق مجدداً لفكرة أنه يقوم بمواعدة امرأة سواها، تماماً كما فكّرت في اليوم الفائت. لكنها لم تعلّق على الأمر لدى عودته بحال أفضل، وراقبته لترى إن كان سيُخرج زجاجات الشراب من الثلاجة إلا أنه لم يفعل. وبدلاً من جلوسه أمام التلفاز، خرج ينظف حديقة المنزل الخلفية. وعند العشاء في تلك الليلة، قام بمحـاولات بـسيطة للتكلم معها. نزلت شارلوت وانضمت إليهما

وكانت تتحدث عن رغبتها في معاودة لعب كرة السلة في الأسبوع المقبل.

قالت أليس موبخة: "ليس قبل أن يأذن لك الطبيب بذلك". وعند انتهاء العشاء، انشغل جيم في حديث طويل مع ابنته عن أسلوبها في اللعب وكم كانت ماهرة في المباراة قبل يومين.

"شكراً أبي. هل ستأتي لحضور المباراة في الأسبوع المقبل؟" فقد أخبروها أنها مرشحة للفوز بلقب أفضل لاعبة في فريقها في المباراة النهائية.

"سأحاول". قال بابتسامة حذرة موجهة أولاً لابنته ثم لزوجته. إلا أن بوبي لم يبدُ موجوداً بالنسبة إليه، فقد أحبطه فشله في التواصل معه صبيحة ذلك اليوم.

دخل الأب وابنته بعد ذلك إلى غرفة الجلوس وظلّت أليس والصبيّان في المطبخ بينما كانت توضب المكان. كان الثلاثة يتحدثون بهدوء إلا أنه كان لا يزال باستطاعة شارلوت أن تسمع الصوت من الغرفة المجاورة.

أفضت شارلوت لجيم بقلق: "إنها تتكلم مع نفسها طوال الوقت الآن". وكوالدتها، لاحظت أن والدها لم يعد يشرب منذ ليلة الحادث، لكنها لم تعلّق على الأمر.

قال متنهداً: "أظنها تتحدث مع بوبي. أجهل كيف تستطيع ذلك. من الصعب التكلم إلى أحد لا يمكنه التجاوب معك. لا أعرف ما أقوله له". فشعرت بموجة من التعاطف معه.

فقالت بهدوء: "بوبي يجعلك تعرف ما يفكر به إن أعرته الاهتمام". كان مستغرباً، ولأول مرة في حياتها، شعرت أنها تبني

جسراً من التواصل مع والدها. لقد صدقت فعلاً أنه يحبها وراضٍ عنها الآن بما أنه حضر مباراتها.

"هل تعتقدين أنه سيتكلم ثانية؟" كان من الغريب أن يسألها، لكنها بدت ناضجة بالنسبة له الآن قياساً بفتاة في الرابعة عشرة من عمرها.

"أمي تعتقد أنه سيفعل يوماً ما. تقول إن الأمر يستغرق وقتاً". فتساءل جيم في نفسه عن عدد السنوات التي سيستغرقها الأمر إضافة إلى السنوات الخمس التي مرّت. "كان جوني يتحدث إليه كثيراً. عليك تسديد بعض الكرات معه في وقت ما يا أبي".

بدا جيم متفاجئاً: "هل يحب ذلك؟". إذ لم تكن لديه أدنى فكرة عما يحبه ويكرهه ابنه الصغير ولم يحاول أن يكتشف ذلك يوماً.

هزّت رأسها. "إنه ماهر بالنسبة إلى طفل في مثل سنه".

"وأنت كذلك". ابتسم ثم لفّ ذراعه حولها وجلسا على الأريكة. وبعد مرور بعض الوقت، بدأا بمشاهدة مباراة كرة قدم. لينضم بوبي إليهما بعد ذلك ويبتسم لطيف جوني الذي كان منبطحاً على المقعد يستمتع بالمشهد.

عندما خرجت أليس من المطبخ ونظرت إليهم ابتسمت أيضاً. وبالرغم من غضبها من زوجها، كان عليها أن تعترف بأن الأمور تحسنت. إذ منذ حصول الحادث مع شارلوت، توقف جيم عن الشرب. الأمر الذي كان ملاحظاً جداً. إلا أنها كانت تخشى أن تذكر له ذلك، بالرغم من تأكدها من أنه لم يشرب منذ ذلك الوقت. وبدا جو البيت بأكمله مختلفاً. وقد أطالت التفكير في هذا الموضوع تلك الليلة عندما صعدت إلى غرفتها، ومجدداً في اليوم التالي عندما أوصلت بوبي إلى المدرسة.

كانت تغني وتخيط عندما رنّ جرس الهاتف، وتساءلت إذا ما كـان جيم، فهو الشخص الوحيد الذي يتصل بها خلال النهار لأن كـل من تعرفهم في وظائفهم. لكنه لم يتصل بها منذ شهور خلت، منذ رحيل جوني لأنه عزل نفسه عن الجميع، حتى عنها.

وعندما أجابت لم يكن جيم المتّصل وإنما أحدهم من مدرسة بوبـي يخبـرها بأنـه وقع عن الأرجوحة وكسر معصمه. كانت معلمـته معه في غرفة الطوارئ، وقالت إنها ستوصله إلى البيت قريباً. انزعجت أليس لأنهم لم يتصلوا بها من المدرسة بعد وقوعه مباشرة، لكن المعلمة أكدت لها أنه لم يكن لديهم الوقت للقيام بذلك قـبل الوصول إلى المستشفى. كما انزعجت من عدم وجودها معه في المستشفى. بعد عشر دقائق وصل بوبي إلى البيت وهو يترنح لأنهـم أعطوه مسكناً للألم، فوضعته في سريره وتركته مع طيف جوني فيما كانت المعلمة بانتظارها.

"قال الطبيب في غرفة الطوارئ إنه سيكون بخير عما قريب، لكـن علـيه أن يتـرك الجبيرة في يده لمدة أربعة أسابيع". بعدئذٍ تـرددت المعلمة وبدت وكأن هناك أمراً آخر أرادت أن تقوله. "لا أريـد أن أبث الأمل الشديد فيكم، وقد أكون مخطئة، لكنني سمعته يقـول آه عندما وقع". ولو لم تكن أليس تعلم أنه قد عاود الكلام، لكانـت طـارت مـن الفـرح، لكنها الآن بدت مهمومة وحسب، وأخبـرت المعلمة أنه لا بد وأن تكون مخطئة، وأنها قد خيّل إليها ذلـك ببساطة لأنها تتمنى لو يتكلم. فهي لم تكن على استعداد بعد لمـشاركة حقـيقة أنـه يستطيع الكلام مع أحد. أرادت أن تحميه لأطول فترة ممكنة، إلى أن يستعيد ثقته التامة بنفسه ثانية.

هـزّت المعلمة رأسها. "قد أكون تخيلت هذا. لكنني لا أعتقد ذلـك". كـان طيف جوني يصر على أن يحاول بوبي بروية وألا يخبروا أحد بالأمر بعد. وأرادت أليس أن يعرف جيم قبل أي أحد فـي العـالم. اقتـرحت المعلمة إجراء الفحوصات اللازمة له من جديـد. فـشكرتها ألـيس، وقـدمت لها فنجاناً من الشاي قبل مغادرتها.

هـا هـي ألـيس الآن ومعهـا ولداها في البيت؛ شارلوت بارتجاجهـا الدماغي وبوبي بمعصمه المكسور. وعندما رجع جيم إلـى البيت تلك الليلة، متأخراً كالعادة، أبدى قلقه بشأنهما، فهو لا يـزال مـتوقفاً عـن الـشرب. وأخيراً، عندما صعد الولدان إلى غرفتيهما، نظرت إليه أليس وسألته بعينين مليئتين بالشك: "إلى أين تـذهب بعـد العمـل هذه الأيام؟" فقد بدا في حالة صحية ونفسية أفضل، وأكثر وعياً مما كان عليه منذ سنوات. لكنه كان يرجع إلى البيت متأخراً كل ليلة.

أجـاب بغمـوض: "لا أذهب إلى أيّ مكان. إنني منشغل في بعض الجلسات بعد العمل". ثم رأى في عينيها كل ما تخشاه وشعر بالأسف نحوها.

أضـافت وهـي تـبحث عـن أدلة في عينيه: "أي نوع من الجلـسات؟" لـم يجـبها لوقت طويل. لكن، أخيراً، التقت أعينهما بصراحة لم تكن معهودة بينهما من قبل.

"هل يهم ذلك؟"

"يهمني كثيراً. هل تواعد امرأة أخرى؟" وحبست أنفاسها حين طرحت عليه السؤال.

فاقترب منها، وأمسك بيدها وهو يهز رأسه ويقول: "لا يمكنني أن أفعل هذا بك، أليس. أنا أحبك. أعتذر لأن كل شيء بدا مؤلماً... ما جرى لجوني... وحادث بوبي... والآن شارلوت بعد أن تأذت... يبدو أن كل الأمور باتت معقدة. لا، أنا لا أخرج بصحبة امرأة أخرى. إنني أداوم على جلسات تأهيل في مركز علاج المدمنين. فقد وصلتني الرسالة بعد اصطدام سيارتي بالشاحنة تلك الليلة، أنه قد حان الوقت لأتوقف عن الشرب". وفيما كانت تنظر إليه، اغرورقت عيناها بالدموع فانحنى وقبلها. لقد كان حلماً وتحقق.

"شكراً". كان كل ما استطاعت قوله. وعندما صعدا إلى غرفتهما تلك الليلة، أقفلا الباب عندما ذهبا إلى السرير حتى لا يزعجهما أي من الولدين. لم يكن طيف جوني مرئياً في أي مكان لأنه كان نائماً قرب سرير بوبي.

الفصل العاشر

كان شهر كانون الأول مثيراً للجميع، فلقد كان عمل جيم قد تحسن بشكل أكبر إذ حصل على ثلاثة عملاء جدد إضافة إلى الاثنين السابقين اللذين حصل عليهما قبل بضعة أشهر، مما أدى إلى مضاعفة عبء العمل عليه عشر مرات. ولم تكن أليس واثقة ما إذا كان ذلك يتعلق بتوقفه عن الشرب، إلا أنه كان يعمل بكد ويكسب الكثير من المال ويبدو كذلك أكثر ارتياحاً مما كان عليه من سنين. حتى إنه لا يذهب إلى عمله أحياناً في فترة بعد الظهر أو يغادر عمله باكراً ليحضر بعضاً من مباريات شارلوت. فقد أصبح الموجّه الأساسي لمن يعتقد أنها ستكون صاحبة مستقبل رياضي واعد. وبات يتفاخر بها على الأقل، إن لم يكن أكثر مما كان يفخر بجوني.

كانت شارلوت سعيدة بذلك. لقد أصبحت في الخامسة عشرة من عمرها، ونشرت الصحيفة المحلية صورتها في الصفحة الرياضية. وفجأة بدا الفتيان أكثر اهتماماً بها، وكان هناك على وجه الخصوص شاب أحبته يلعب في إحدى الفرق المحلية، إلا أن مرافقة والدها ورضاه كانا كل ما تسعى إليه في هذه الأيام، وكأنها تعوض عن كل تلك الأيام التي كان يتجاهلها فيها فعلياً. الأمر الذي

تحدث عنه في جلسات التأهيل، والتي تضمّنت مصالحتها والاعتذار منها في المرحلة التاسعة من العلاج، مما جعلها تشعر بالذهول عندما رأته يبكي ويعتذر ويشرح لها أنه لم يخطر له أبداً أنها قد تكون تلك الرياضية الماهرة بالرغم من كونها فتاة. وحتى لو لم تكن كذلك، لكان أحبها أيضاً. فقد كان مخدراً لفترة طويلة جداً حتى كاد يفقدها، واعتذر عن كل المرات التي تجاهلها فيها وتناساها واحتفل بإنجازات جوني دون أن يحتفل بإنجازاتها سابقاً. وبينما كان يتصالح معها تمنى لو أنه يستطيع أن يفعل ذلك مع بوبي أيضاً، إلا أنه كان يشعر بصعوبة التكلم معه لأنّ مجرد النظر إليه كان يجعله يشعر بموجات من الإحساس بالذنب بسبب الحادث الذي تسبب به نتيجة شربه في ذلك الوقت.

كانت أليس تستمتع بمراقبتها لتطور العلاقة بين شارلوت وجيم وتحدثت عن هذا الأمر مع طيف جوني، وكذلك عن المعجزة التي حصلت في حياتها منذ أن انضم جيم إلى مركز التأهيل. وكانت أليس تدرك دون أن تسأل أن طيف جوني هو من ألهم جيم بالقيام بذلك، تماماً كما فتح باب قلب والده لشارلوت بعد كل هذه السنين.

وذات يوم، قالت لطيف جوني بينما كان يساعدها في غسيل الملابس: "لقد كان ذلك إنجازاً متميزاً، في الحقيقة، معجزة، لا بل معجزتان". فقد توقف جيم عن الشرب وبدأ يحب شارلوت ويقدرها بكل الطرق التي لم يعهدوها منه من قبل.

ومعاودة بوبي الكلام كانت معجزة أخرى يعود الفضل فيها لطيف جوني، بالرغم من أن بوبي لم يكن يتكلم بعد إلا مع طيف

جوني ووالدته. لكن جوني قال إنه سيتكلم مع الجميع عندما يصبح مستعداً لذلك ويصبح أكثر ثقة بنفسه. ويبدو أن تلك اللحظة كانت تقترب يوماً بعد يوم. فقد أصبح أكثر ابتساماً الآن وأكثر حضوراً في العائلة وتحسن أداؤه في المدرسة. وعندما يكون مع طيف جوني ووالدته، كان يتكلم دون توقف، إذ لديه الكثير الكثير من الكلام ليقوله وحكايات ليرويها.

سأل طيف جوني أمه فيما كانت تحضر فطيرة التفاح للعشاء في تلك الليلة: "ماذا عنك يا أمي؟ ماذا تريدين لنفسك؟" فهي لم تطلب شيئاً أبداً.

قالت بعد أن استدارت إليه: "أريدك أنت. أتمنى لو أنك ترجع معنا إلى الأبد". لكن، كلاهما كانا يدركان أن ذلك مستحيل، ولكان فعل ذلك لو استطاع. "أنا سعيدة جداً بوجود طيفك بيننا لفترة من الزمن". فقد مضى على وجوده بينهم شهران ولكن عندما نظرت أليس حولها ورأت أنه قد حقق كل المهمات التي رجع من أجلها، كان لا بد وأن يعتريها القلق لأنه عندئذ سيرحل ثانية. ومع أنهما لم يتحدثا في الأمر، إلا أنها شعرت أن مهمته كانت على وشك الانتهاء. سألته بعينين قلقتين فيما كانت تحضر عجينة الفطيرة للعشاء: "لن يختفي طيفك فجأة، لا؟"

أجاب بهدوء: "لا يا أمي. سأعلمك بذلك، لن أفعل هذا بك". فقد كان استمرارها في الحياة صعباً كفاية بعد الصدمة والمفاجأة بموته، ولم تتحمل فكرة أن تعيش تلك الحالة ثانية. تابع وهو يقرأ أفكارها ويجيبها: "ستكونين مستعدة لذلك هذه المرة".

قالت بعناد والدموع في عينيها: "لن أكون مستعدة أبداً كما لم

أكن مستعدة عندما خطفك الموت مني، أتمنى لو أنك تستطيع البقاء هنا، على هذه الحال للأبد".

اقترب جوني وضمّها قائلاً: "أنت تعلمين أنني كنت لأفعل هذا لـــو كان ممكناً يا أمي. لكن أعدك، ستكونين مستعدة عندما يحين وقـــت رحيلي ولن يكون الحال كما في المرة السابقة". وما جعلها ترتجف هو تذكر رحيله والإحساس بالرعب والألم لفقدانه.

قالـــت بهدوء محاولة أن تذكّر نفسها بالنعمة التي بين يديها: "نحن محظوظون لوجود طيفك معنا خلال الشهرين الماضيين. هل أنجزت كل ما أتيت من أجله هنا؟"

أجـــاب مشككاً: "لا أعتقد ذلك". إذ لم يكن واضح لديه أبداً ما قد عاد من أجله ولكن مع تكشف الأمور، بات سهلاً أن يرى كل الأمور الجيدة التي قام بها. وهو نفسه شعر أنه كان ينجز مهماته الواحدة تلو الأخـــرى. ومـــع أن هذه المهمات لم تذكر له حرفياً، إلا أنه كان يـــشعر بمـــا عليه القيام به يوماً بعد يوم. "أعتقد أن كلينا سنعرف عـــندما يحين ذلك الوقت". لكن، كلاهما كانا يشعران أن الأمر لم يعد بعيداً، وبمراقبته، أصبحت قادرة على توقع ذلك أيضاً.

سألته بذعر: "وهل سيختفي طيفك حينها دون أثر؟"

طمأنها وهو يبدو أكبر من عمره بكثير: "لقد قلت لك يا أمي. لن أفعل هذا بك". فقد أرسل طيفه للمعالجة لا لإلحاق الأذى.

قالت بارتياح: "أمر حسن أن يكون هناك نوع من التنبيه".

"أعـــتقد أنه عندما يحين الوقت لذلك، سنعرف بالأمر". لكنها بـــدأت تـــشعر بذلك وإن لم يكن هو يشعر به. فقد توقف جيم عن الـــشرب بعـــد سنوات من معاقرة الشراب، وتوطدت العلاقة بينه

وبين شارلوت كما لم تكن من قبل أبداً وأصبح كذلك جزءاً أساسياً مـــن نشاطاتها الرياضية، يحضر كل مباراة حين يتسنّى له الوقت لـــذلك. وعاود بوبي الكلام حتى ولو سراً. "أعتقد أنه لا زال عليَّ الاهتمام ببعض التفاصيل هنا".

قالـــت بابتـــسام، وضـــحك: "حسناً، لا تستعجل الأمور، قد نستطيع استبقاء طيفك لبعض الوقت".

"سيرحل طيفي ببطء شديد يا أمي. أعدك".

همست له وهو يعانقها: "أحبك يا بنيّ". وبعد ظهر ذلك اليوم، ذهـــب لرؤية بيكي التي كانت الأمور تسير في بيتها على ما يرام أيضاً.

بيكـــي وباز يخرجان معاً بتواتر. وقد شعرت أليس بالسعادة كلما رأتها، فلم تعد تبدو محطمة القلب كما كانت قبل أشهر خلت، وأصبحت تضحك أكثر الآن وبدت أكثر ارتياحاً تماماً كما هو حال بـــام التي تطورت علاقتها العاطفية مع غافن لتواجده معها خلال عطلاته، وبات يفكر بانتقاله من لوس أنجلوس ليكون قريباً منها.

كانـــت أليس تغني وتزين شجرة الميلاد عندما رجع جيم من عملـــه باكـــراً لأنه نسي بعض الأوراق في البيت فقرّر أن ينجز عمله هناك، وابتسم حين رأى أليس تزين الشجرة وتغني.

"كـــيف استطعت تعليق النجمة في أعلى الشجرة وحدك هذه الـــسنة؟" ولأنّ ذلك صعب التفسير، قالت إنّ ساعي البريد ساعدها عـــندما أتى لتسليم بعض الرسائل، فاقتنع جيم بذلك. ضحك طيف جونـــي عندما سمع ذلك لأنه هو من وضع لها الزينة على جذوع الشجرة العليا كما كان يفعل دائماً في الماضي.

قال طيف جوني مداعباً: "كم أنت خلاقة!" فضحكت وقالت له بعض الكلمات ظناً منها أن جيم لن يسمعها، لكنه عندما عاود الدخول إلى غرفة الجلوس كان عابساً.

قال مداعباً: "علينا أن نقوم بشيء ما حيال تحدثك مع نفسك. ربما عليك الانتساب إلى مركز تأهيل! شارلوت قلقة بشأنك وتعتقد أنك تفعلين ذلك بسبب رحيل جوني".

"أعتقد ذلك، سأتجاوز الأمر". وخشيت أن يكون هذا قريباً جداً. إذ عندما يغادر طيف جوني، لن يكون هناك من تتحدث معه. ليس بهذه الطريقة. كان هناك جيم والولدان، طبعاً. لكن لطالما كان ابنها البكر توأم روحها ولا يزال، الآن أكثر من قبل. "أعتقد أنها أصبحت عادة". قالت لزوجها فيما اختفى مجدداً مع حقيبة يده ومجموعة من الأوراق.

كان جيم لا يزال يعمل عندما رجعت شارلوت من المدرسة، وذهبت أليس لاصطحاب بوبي من المدرسة بمرافقة طيف جوني الذي ضحك لما قاله والده عن حديث والدته معه. وظلّ الاثنان يتحدثان طوال الطريق إلى مدرسة بوبي.

تذمرت والدته بابتسامة حزينة: "عندما ترحل، سيصبح الجميع متيقناً بأنني قد جننت".

قال طيف جوني وهو مستلقٍ على المقعد الخلفي واضعاً قدميه على الشباك. لقد كان أطول من والده بكثير. "إنّ الأمر ليس بهذا السوء. يمكنك القيام بما تريدين حينئذ، سيدة بيترسون. ستكونين حرة. يبدو ذلك مثيراً".

"ليس بالنسبة لي. لا أريد أن يعتقد الناس أنني معتوهة".

بالرغم من أنه نوع جيد من الجنون وإحساس جميل أن تكون معه؛ مزيج دائم من الجدية والضحك والسعادة.

في الأشهر القليلة الماضية، أصبح لدى طيف جوني نظرة أعمق وحكمة فائقة في ما يتعلق بالناس وبالمواقف الدقيقة؛ فلقد تفهم والده أكثر من أي وقت مضى؛ وتعرّف على مشاعر بوبي وأحاسيسه واحتياجاته حتى دون أن يفكر فيها؛ واستطاع أن يرى ما في قلب شارلوت مباشرة ويعلم كل ما تفكر به ويقلقها؛ وأصبح أقرب إلى والدته من أي وقت مضى. وكان كل منهما أحياناً يعرف ما يفكر به الآخر دون أي كلام بينهما. ولطالما كان باستطاعتهما فعل ذلك، إلا أنّ ذلك بات أقوى الآن. فالرابط الذي بينهما تحدى ما حصل لهما ولا يمكن كسره أبداً. وكانت تدرك أنه حتى بعد رحيل طيفه لن تخسره أبداً الآن مما جعلها تشعر بالارتياح. وابتسم الاثنان بنفس الطريقة لدى رؤيتهما بوبي متوجهاً نحوهما من المدرسة وبيده علبة من زينة الميلاد صنعها بنفسه في صف الفنون.

قالت وهي تقبّل ابنها الصغير الذي جلس مع طيف جوني على المقعد الخلفي: "في الوقت المناسب! لقد قمنا وطيف جوني بتزيين الشجرة اليوم".

سأل بوبي ببشاشة: "كيف تبدو؟"

"جميلة جداً. لكنها ستبدو أجمل عندما نضيف الزينة الجميلة التي صنعتها". وابتسمت له بمحبة. فقد كان غالياً على قلبها تماماً كما كان جوني، مع كونه مختلفاً. وكانت تعشق شارلوت أيضاً. إلا أن جوني كان جزءاً من روحها دائماً وأبداً.

سأل بوبي وهو يحمل الزينة بين يديه: "أتعجبك الزينة يا أمي؟"

"أجل يا عزيزي. سنعلقها على الشجرة حالما نصل إلى البيت". كان لا يزال هناك أسبوعان على الميلاد، ولدى كل من أفراد العائلة الكثير للقيام به: كان جيم ينظم حفلاً للميلاد في المكتب ولديه الكثير من الحسابات الضريبية لينجزها لكثير من عملائه. كانت شارلوت قد وصلت إلى نهائيات موسم كرة السلة في مباراة حاسمة بين نجوم هذه الرياضة؛ المباراة التي كانت هي ووالدها ينتظرانها بفارغ الصبر. وكان بوبي يتدرب ليؤدي دور الإنجل في مسرحية ستعرض في المدرسة: كل ما كان عليه فعله هو رفرفة جانحيه والتحرّك في المسرح جيئة وذهاباً عدة مرات من دون أن يوكل إليه دور فيه كلام لأسباب واضحة، إلا أنه كان جزءاً من ذلك على أي حال. خاطت له أليس الزي وأنجزته في ذلك الأسبوع.

لم يكن هناك حفل في منزل أليس وجيم هذه السنة لكنهما قاما بدعوة آل آدامز لقضاء بعض الوقت سوياً. وكانت بام ستصطحب غافن أيضاً. فقد عزم على أخذ إجازة لمدة أسبوع لقضاء بعض الوقت معها ومع الأولاد.

وعندما وصلوا في ليلة العيد، كان الجميع في روح معنوية عالية. حضّرت لهم أليس شراباً. وكان جيم منشرحاً جداً لدرجة فاجأت بام، واتّفق مع غافن بسرعة. وخلال دقائق، بدأ جيم يتفاخر بإنجازات شارلوت كما فعل ذات مرة مع جوني. لم تستطع أليس إلا أن تفكر في الأمر بينما كانت تستمع إليه. لقد كان ذلك ما تمنته

شارلوت وأرادته منه. بالنسبة لها، تغيرت حياتها بما لا يقاس منذ المباراة الأولى التي حضرها، أخيراً.

الشخص الوحيد الذي كان لا يزال يبدو غريباً هو بوبي. إذ لم يكن جيم قد تمكّن من إيجاد طريقة للتواصل معه بسهولة. لذلك كان بوبي يشعرأنه موجود في الحياة فقط عندما يكون وحده مع والدته وطيف جوني لأنه يتحدث معهما طويلاً في محاولة منه لتعويض ما فاته.

بدت بيكي جميلة جداً في تلك الليلة في ثوبها المخملي الأسود والحذاء ذي الكعب العالي الذي اشتراه لها غافن. لقد كان كريماً جداً مع بام وكان في غاية السعادة لمساعدتها في تدبّر أمور الأولاد. وكان يسر عندما يشتري لهم بعض الحاجيات ويساعدهم على القيام ببعض الأمور. وبما أنه لم يكن لديه أولاد، فلقد كان كانوا هم بمثابة العائلة التي لطالما حلم بها ولم يحصل عليها.

انتظر غافن وبام إلى ما بعد العشاء لإعلان نبأ خاص بهما. ضحك بعدها أخو بيكي الصغير وقال إن ذلك سخيفاً، لكنه قال ذلك بروح مرحة أظهرت أنه وغافن صديقان. كان كل أولاد آل آدامز يحبونه بحق وكذلك بام. كانت تحبه ربما ليس بالقدر الذي كانت تحب فيه مايك، خصوصاً بعد تلك السنوات التي أمضتها معه وإنجابها لخمسة أولاد، إلا أن حبها لغافن كان أكثر من كافٍ لتتمنى أن تشارك حياتها معه. وأخبرا الجميع أثناء تناول القهوة أنهما ينويان الزواج في شهر حزيران المقبل.

فقد كان عليهما إيجاد منزل. ولأنه شخص كريم، فلقد عرض على بام انتقال الأولاد إلى مدارس أفضل متكفلاً بتغطية

المصاريف. فهو يريد الأفضل لهم ولبام، أو الأفضل الذي يمكنه فعله لهم على الأقل. هنأهما كل أفراد آل بيترسون بينما لاحظت أليس بطرف عينها أن طيف جوني كان يجلس على الأرض قرب الشجرة يراقبهم. وكالعادة، لم يستطع تحريك ناظريه عن بيكي. فقد بدت كما كان يعرفها في الماضي، بل أجمل من أي وقت مضى. وكان الحنين يظهر في عينيها كلما تحدثت عما قامت به مع جوني. لكن طيف جوني كان يدرك أنها لا تزال شابة وأنّ أمامها حياة بأكملها، وشعر أنها ستكون سعيدة الآن من دونه.

سألت أليس بيكي مداعبة: "ماذا عنك؟ لن تتزوجي، لا؟"

"آمل ألاّ تفعل! لا تزال صغيرة جداً!" صرخ طيف جوني من غرفة الجلوس وانفجر بوبي بالضحك. نظر إليه الجميع متفاجئين ثم عاد إلى صمته فوراً عندما رمقته أليس بنظرة تحذير. وبعد بضع دقائق توجهت إلى غرفة الجلوس توبخ طيف جوني.

"هل شربت؟ ما الذي تقصده من هذا الصراخ؟"

"لا يمكن لأحد أن يسمعني، أمي، ما عداك أنت وبوبي. يمكنني أن أصرخ كيفما أشاء وأغني وأتشقلب". قال ثم تشقلب وكان على وشك أن يصطدم بطاولة القهوة.

"أظنك بحاجة إلى بعض التدريب".

"أنا فقط أستمتع بوقتي". ابتسم بينما هزّت رأسها وانضمت ثانية إلى الجميع. كان طيف جوني يقوم ببعض الحركات الرياضية قرب الشجرة ويغني بصوت عالٍ جداً عندما تركته.

سأل جيم بلطف: "ماذا كنت تفعلين هناك؟" كانت بام قد علقت بأن أليس لا تزال تتحدث إلى نفسها في كثير من الأحيان. وقالت

شارلوت إنها باتت تقوم بذلك دائماً عندما تكون في المطبخ وحدها أو في غرفة نومها قبل أن يصعد جيم إلى هناك في الليل. وقد بدت وكأنها تتحدث إلى صديق أو ما شابه. أضاف بنفس النبرة اللطيفة وبقلق واضح: "أعتقد أنها تتخيل أنها تتحدث إلى أخيك". لقد بدت متوازنة وطبيعية إلا أنه كان واضحاً للجميع أنها لم تتعافَ إثر وفاة ولدها وأنها لن تتعافى أبداً، خصوصاً إذا كانت تتحدث إليه فعلاً. إن الاحتفال بالميلاد دون وجوده بينهم للمرة الأولى لأمر محزن جداً.

عندما سألها جيم عما كانت تفعله في غرفة الجلوس، قالت أليس دون اهتمام: "كنت فقط أتأكد من أن أضواء الشجرة مضاءة". بدا ردّاً منطقياً إلا أنه لم يفسر الهمس الذي سمعه جيم عندما وقف وراء الباب. فتمنى فقط أن تتجاوز ذلك تدريجياً وتستعيد توازنها ثانية، فهو يشعر بقربه منها أكثر مما شعر به منذ وقت طويل.

تحدثوا بعد ذلك عن زواج بام وغافن وخططهما: فقد قررا تجهيز المنزل الجديد ثم عرض منزل بام ومنزله في لوس انجلوس للبيع. وبالرغم من أن الأولاد سيشعرون بالحزن لتركهم بيتهم القديم، إلا أنهم كانوا متحمسين بشأن كل ما أخبرهم به غافن. لقد وعدهم أن يشتري لهم قارباً يبحرون به في البحيرة في الصيف القادم.

ثم استدارت بام نحو بيكي، وطلبت منها مشاركتهم في الحديث. احمرت وجنتاها للحظات وذعر طيف جوني عندما رآها. انضم إليهم ثانية وجلس حول الطاولة على أحد الكراسي حيث كان يجلس أحد إخوة بيكي، الذين صعدوا جميعاً مع بوبي وشارلوت لمشاهدة الفيديو في غرفتها.

سأل برعب: "إنها لا تنوي الزواج، أم أن الأمر كذلك يا أمي؟" ليس لأنّ بإمكانه أن يوقف ذلك الآن، أو لأنه يريد ذلك، لكن ولسبب ما، كان لا يزال يكره أن يراها مع شخص غيره، رغم إدراكه أن عليه تجاوز هذا الموضوع. ومع أنه أراد لها السعادة، إلا أنه أحس بغصة عندما فكّر أنه سيخرج من حياتها، علماً أنه هو من قدّم باز لها ولم ينكر عليها حقها في السعادة. أما الآن، فإنّ جُلّ ما أراد القيام به عندما نظر إليها هو أن يأخذها بين أحضانه للمرّة الأخيرة. لكن بما أنها لا تستطيع رؤيته، فلا يمكنه ذلك رغم أنه أمسك بيدها أحياناً، من دون أن تشعر هي بذلك. فالشخصان الوحيدان اللذان يمكنه حضنهما وتقبيلهما ولمسهما هما بوبي ووالدته. ولم يستطع أن يمنع نفسه من التساؤل عما قد يحصل لو كانت بيكي تستطيع رؤيته مثلهما. ربما هذا هو السبب الذي منع حصول ذلك؛ لأنه لو حصل فسيكون من الصعب على طيفه الرحيل عندما يحين الوقت.

سألتها أليس بإصرار: "ما أخبارك يا بيكي؟" وبدا طيف جوني متوتراً جداً بانتظار سماع ردها.

قالت بتواضع ورضى: "حصلت على منحة دراسية، في جامعة UCLA. سأبدأ الدراسة في شهر كانون الثاني وسيعاود باز الدراسة حينها أيضاً. لقد ساعدني في الحصول عليها".

قال طيف جوني بنزاقة عندما نظرت والدته إليه: "لا، لم يفعل. أنا فعلت ذلك". هزّت أليس رأسها وكأنها توافقه الرأي دون أن تستطيع التفوه بأي كلمة لأنهم يراقبونها.

قالت وهي تعلم مدى فخر بام بها: "هذا رائع يا عزيزتي". فقد حصلت على منحة دراسية كاملة وكانت تنوي دراسة الفنون

الجميلة، وأضافت أنها تريد أن تأخذ صفوفاً في تاريخ الفنون أيضاً ثم تمتهن تدريس الرسم بعد تخرجها. لطالما اعتقد جوني أن تلك ستكون مهنة رائعة لها. وها هي الآن في طريقها إلى تحقيق ذلك. كذلك، كانت أليس قد حصلت منها على مجموعة من الصور لجوني على مدار السنين لأنها ماهرة جداً في الرسم.

بعد العشاء، دخلت بام إلى المطبخ لمساعدة أليس في التنظيف والتوضيب ودخل الرجلان إلى غرفة الجلوس لمناقشة العمل والضرائب والسياسة والرياضة، وجلس طيف جوني معهما بالرغم من أن الحديث لم يكن يهمه كثيراً، إلا أنه كان يخشى أن تتصرف والدته بغرابة إن تواجد معها في المطبخ وقال لها الكثير وأرادت التعليق على الكلام. لذلك، بدا من الأفضل الابتعاد عنها، فجلس على أحد المقاعد واستمع لحديث والده وغافن. ثم رأى بيكي تصعد إلى الطابق العلوي لتنضم إلى شارلوت حيث يشاهدون الفيديو. لكنها عوضاً عن ذلك مشت بصمت إلى غرفة جوني، وفتحت الباب، ودخلت بهدوء قبل أن يلاحظ أحد ذلك، ثم أغلقت الباب وراءها ووقفت هناك لبعض الوقت تحاول شمّ رائحته المألوفة. استلقت بعد ذلك على السرير تحت ضوء القمر وأغلقت عينيها. ومع أنه كان يقف بقربها ويمسك يدها بلطف إلا أنها لم تشعر بذلك إلا في قلبها. لقد كانت تشعر بحضوره في الغرفة. فهي تعرف غرفته جيداً وتعرفه وتعرف حياته وأحلامه وأمنياته، إضافة إلى كل ما تشاركاه سراً. واعتراها سلام غريب.

همست، وأغلقت عينيها فيما كان هو ينظر إليها: "أحبك يا جوني".

وكأن صوتاً أقوى منه جعله يقول: "وأنا أحبك أيضاً يا بيكي. وسأظلّ كذلك دوماً. أريدك أن تكوني سعيدة. ستتمتعين بوقتك في الجامعة... وإن أردت أن تكوني مع باز فاعلمي أنه سيسعدك". ورغم شعوره بالغصة، إلا أنه كان يدرك أن عليه قول ذلك على أي حال، "أريدك أن تنعمي بحياة هانئة معه أو مع أي شخص غيره. أنت تستحقين ذلك يا بيكي. أنت تعلمين أنني سأحبك دائماً". هزّت رأسها وكأنها تستطيع سماعه في رأسها، في قلبها، في الأحلام التي تشاركاها ذات يوم، فشعرت بسلام ودفء. وبعد وقت طويل، قامت وتجولت في الغرفة وهي تلمس صوره وأغراضه العزيزة وميدالياته. وقفت هناك لوقت طويل تنظر إلى صورته المفضلة لديها والتي تحتفظ بنسخة منها قرب السرير في منزلها، مع أنه أصبحت هناك الآن صورة أخرى لباز إضافة إلى صورته. وما إن نظرت إلى صورة جوني الآن، حتى شعرت وكأنها تستطيع رؤيته فعلاً.

"سأحبك دائماً يا جوني". وهمست بينما الدموع تملأ عينيه وهو يجيبها:

"وأنا أيضاً يا بيكي. أتمنى لك حياة رائعة". قال ذلك وعناه، وهزّت رأسها ثم توجهت نحو الباب ووقفت عنده لوقت طويل. وبعد ذلك، ومن دون أي كلمة إضافية، غادرت الغرفة، وأغلقت الباب وراءها بصمت وشعرت بإحساس من السلام والحرية والفرح لم تشعر به منذ وفاته. وعندما دخلت إلى غرفة شارلوت، ابتسمت بعد أن مسحت دموعها. وبطريقة غريبة، شعرت وكأنها قد ودّعت جوني لتوها بطريقة تمكنها من الحياة بعدها، من دون

لوعة الفراق التي كانت تشعر بها قبل ستة أشهر، بل مع حب وسلام واستسلام للواقع. فقد أدركت أنها ستحمله في قلبها معها الآن ودائماً، مع استعدادها للاستمرار بالحياة.

غادر آل آدامز عند الساعة الحادية عشرة والنصف، بعد أن تبادلوا الأحضان والقبلات والأمنيات. غادر آل آدامز بسيارة كبيرة اشتراها غافن من أجلهم، ولوّح آل بيترسون بأيديهم مودعين. بقي الأربعة فقط. فبالنسبة لشارلوت وجيم، كان هناك شخص ناقص. كان طيف جوني يجلس بين شارلي وبوبي على المقعد الخلفي فيما كان والداه يتحدثان. بطريقة ما، كانت المناسبات أليمة لهم جميعاً هذا العام، لكن كان عليهم تذكّر النعم أيضاً، والتي كان هناك الكثير منها مؤخراً.

الأمر الوحيد الذي أفسد ذلك اليوم بالنسبة لها هو أنها في طريق عودتهم إلى البيت أخبرت جيم أنها تعاني من عسر في الهضم.

سألها بقلق: "هل هذه عوارض القرحة مجدداً؟" فقد كانت مريضة جداً في تشرين الأول الماضي لدرجة أنه كاد يفقدها وقد أشعره تذكُر هذا الأمر بالرعب، لكنها طمأنته بسرعة.

"كل ما هناك هو أنني أكلت الكثير من لحم ديك الحبش". إضافة إلى أن فطيرة اللحم المهروس التي أعدتها بام كانت دسمة. إلا أنها نسيت ألمها مع وصولهم إلى البيت وكانت سترافق بوبي إلى غرفته، لكنه تلكأ عندما أمسكت يده ونظر إليها وكأنه يريد أن يسألها سؤالاً، لكنها لم تكن متأكدة تماماً مما أراده. فوقف هناك يحدق بها ثم بوالده وفجأة استدارت ونظرت إلى طيف جوني

فـــرأته يبتـــسم فيما كان يومئ برأسه لبوبي. وفجأة، فهمت أليس الأمـــر واغـــرورقت عيناها بالدموع ونظرت بحنان إلى زوجها. "أعـــتقد أن بوبـــي لديه ما يود أن يقوله لك". قالت بينما كان جيم وشارلوت يراقبانه. لم يحرك بوبي ناظريه عن والده وكأنه شيء يـــدين لـــه به منذ زمن بعيد وسيعطيه إياه الآن. كانت هذه بمثابة هدية العيد التي تعني الكثير لجيم والتي ستغير مجرى حياته أكثر من أي شخص آخر.

قـــال بوبي بهدوء: "عيد مجيد يا أبي". فحدّق جيم به وحبس دموعه بينما كان يضمه بين ذراعيه بقوة والآخرون يراقبونه.

ســـأل جـــيم بصوت أجش: "ما الذي جرى لك؟ كيف حصل ذلـــك؟" وحـــول ناظريه من ابنه إلى زوجته بينما كانت شارلوت تبكـــي، وطيف جوني يبتسم لهم بود. فقد كان فخوراً بهم جميعاً؛ كـــان فخـــوراً بأخـــيه، ووالده، وشارلي وكل ما فعلته وأنجزته، ووالدته لكل ما عانته وتحملته وآمنت به وقدمته.

أجـــاب بوبي منتبهاً لنظرة والدته المحذِّرة من إفشاء سرّهما: "أنـــا بـــدأت بالكلام مع... نفسي... بدأت أدرّب نفسي منذ مناسبة الشكر".

"وانتظرت كل هذا الوقت لتخبرني؟"

قال بوبي مبتسماً: "كان عليَّ ذلك. أنت لم تكن مستعداً". فكّر جيم بما سمعه للحظات، ثم هزّ رأسه موافقاً.

"ربما لم أكن كذلك، لكنني مستعد الآن". وبدا وكأن السنوات الخمس الأخيرة الأليمة قد اختفت بلحظة.

همس بوبي لوالده الذي حمله بين ذراعيه: "أحبك يا أبي".

قـــال جـــيم: "أنـــا أيضاً أحبك يا بنيّ". ثم أنزله وأمسك بيده وتـــوجها إلـــى الطابق العلوي يداً بيد وأليس تراقبهما وهي تشعر بعظمة ما حدث الليلة.

الفصل الحادي عشر

في صبيحة اليوم التالي، هرع بوبي إلى الطابق السفلي ليجد هــداياه. وبعد بضع دقائق، انضمت إليه شارلوت ووالداه. اشترى جيم لشارلوت كل أنواع الأدوات الرياضية التي كانت تريدها بما في ذلك مضرب كرة أوتوماتيكي حتى تتمكن من تدريب نفسها في الربيع القادم؛ فلطالما حلمت بشرائه.

واشترى لأليس كنزة ومعطفاً جديدين وسواراً من ذهب. أحبّت ألــيس كل ذلك، وأحضرت له بدورها حقيبة يد جلدية جديدة وسترة جلدية كان قد رآها وأراد شراءها، وأحب هو أيضاً ما اشترته له.

حــصل بوبــي على مجموعة من الألعاب التي ساعد طيف جونــي والدتــه في اختيارها، وأحب كل واحدة منها وكان سعيداً بجمعهــا وتركيب البطاريات لها لتصبح كلها جاهزة خلال خمس دقائق. سعد الجميع بالهدايا. وخلال تحضير أليس للفطور وفطيرة المــوز التــي يأكلــونها صبيحة كل عيد، شعرت بالمرض ثانية. فأدركت أن ذلك سببه السعادة والقلق المُلحّ، الآن وقد شارف وقت رحــيل طــيف جونــي. إلا أنها حاولت ألا تفكر بذلك أثناء تقديم الفطور الذي يحبون تناوله كل عام. وعندما استدارت لتنظر إليه، لاحظــت أن طــيف جوني يبدو متعباً. لقد أنجز الكثير من أجلهم

جميعاً حتى أنهك، إلا أنه كان يبدو في روح معنوية مرتفعة عندما وقف وراءها يشتهي الفطيرة.

قال وقد بدا طفلاً مجدداً: "ليتني أستطيع أن آكل بعضاً منها يا أمـي". فابتسمت أليس له وتمنت لو استطاع ذلك أيضاً. تمنت في الواقـع الكثير من الأشياء: عدم موته، تمكنه من البقاء هنا الآن، والاحـتفاظ به للأبد. لكنها تعلم أن ذلك غير ممكن. أضف إلى أنّ ذلك هو قدره. لكنه لم يكن من العدل بالنسبة لها أن يموت وهو لا يزال شاباً صغيراً.

تناول جيم وشارلوت المزيد من الفطيرة فيما كان بوبي يتكلم باسـتمرار شـارحاً كـيف تعمل ألعابه ومستعرضاً إياها وكيف يركبها، ووالده يبتسم بفرح.

قال جيم بعد أن غادروا المطبخ: "لا بد وأنه يحاول تعويض مـا فاتـه، ألـيس كذلك؟" وقد بقي طيف جوني جالساً إلى طاولة المطبخ يستمتع برائحة الفطيرة الرائعة التي لم تأكل أليس منها هذا العـام، بـل تذوقتها فقط، دون أن يلاحظ أحد ذلك، ما عدا طيف جونـي. وتابع جيم وهو ينظر إلى أليس بإعجاب: "لماذا باعتقادك عـاود الكلام مجدداً؟ ما الذي تسبب في معاودته الكلام؟" إذ لم تبدُ أليس جميلة بالنسبة إليه أكثر مما هي عليه الآن، ثم انحنى وقبلها. بالنـسبة له، كان ذلك الغفران الأكبر. فقد دفع بوبي خمس سنوات مـن عمـره بسبب غباء والده، والآن تحرر مما بدا بالنسبة لجيم وكأنه لعنة نزلت بهم جميعاً. إنها النعمة المثلى.

قالت أليس ببساطة دون أن يعارضها جيم: "أعتقد أن معجزة ما قد حصلت". فقد كان ممتناً لأن ذلك قد حصل.

بعـد ذلـك، ذهـب لمشاهدة مباراة كرة قدم وانضمت إليه شـارلوت فـيما كانت أليس تشغل نفسها في المطبخ، وبعد مرور بعـض الـوقت، نزل بوبي وانضم إليهما مصطحباً نصف ألعابه معه.

سألها طيف جوني بقلق: "هل أنت بخير يا أمي؟"

ردت كالعادة دون أن يكون ذلك صحيحاً: "أنا بخير". فهي لم تكـن علـى ما يرام، لكنها لم ترِد أن تقلقه بالرغم من آلام المعدة التي عاودتها والتي كرهت فكرة أن تصاب بها ثانية. ومع ذلك، لم تكن لديها النية أن تخبره بذلك أو تفسد عليه أو على الآخرين بهجة العيد. "صدقني، أنا بخير".

قـال بنـضج: "لا أظن ذلك صحيحاً. يجدر بك الذهاب إلى المستشفى غداً".

وعدته: "سأفعل إن ظلّ الألم يزعجني".

أمضوا بعد ظهر ذلك اليوم بكسل؛ يأكلون ويشاهدون التلفاز. وفـي تلـك اللـيلة، حضّرت أليس لهم طبق اللحم التقليدي الذي تحـضره لهم عادةً في هذه المناسبة. لم تكن شهيتها جيدة، وكانت مـشتتة الـذهن فيما كانت تقدم الطعام. وطوال فترة بعد الظهر، كانت تفكر بحقيقة أن كل المعجزات التي حصلت لهم والنعم التي حـصلوا علـيها كانت عظيمة جداً، ولم يعد هناك من شيء على طيف جوني القيام به: حصلت بيكي على المنحة الدراسية وصديق جديـد لطـيف معها. والتقت بام برجل رائع أحبها وأحب أولادها وسـتتزوجه. أصبح شارلوت وجيم قريبين أكثر مما قد يتمنى أي أحد، وتوقف جيم عن الشرب. وعاود بوبي الكلام، وهي حصلت

علـــى مرافقة طيف ابنها لمدة ثلاثة أشهر؛ ابنها الذي أحبته والذي أُخـــذ منها دون أي إنذار وبسرعة كبيرة. لقد حصل كل واحد منهم على هدية لا تقدر بثمن وتغير مجرى حياتهم إلى الأبد. لم يتـــبقَ لديـــه شـــيء ليقوم به. وكلما فكرت في ذلك أكثر، كلما شعرت أن رحيله قد اقترب. وقد أوجع ورود هذا الاحتمال في ذهنها قلبها.

ســـألته عندما أصبحا وحدهما في المطبخ بعد العشاء: "أنت راحـــل، أليس كذلك؟" وقد وضبت المكان بعد يوم طويل ومريح. حتـــى غـــياب طيف جوني لم يكن مؤلماً كما العادة بالنسبة لجيم وشـــارلوت، إذ بـــدا وكأنهمـــا يتأقلمان مع الموضوع شيئاً فشيئاً، وشـــرح طيف جوني لبوبي منذ البداية أنه سيرحل ثانية يوماً ما، وأنه موجود لزيارة قصيرة.

قال طيف جوني بصراحة: "ربما يا أمي. سنعلم عندما يحين الـــوقت المناسب. وأنت أيضاً. لقد قلت لك، ستكونين مهيأة لذلك". بدا متأكداً جداً من ذلك، لكن جوابه لم يعجبها.

بـــدت كفـــتاة صـــغيرة وهـــي تضيف: "إذاً، إنه ليس الوقت المناســـب، لأننـــي غيـــر مهيأة بعد. سيكون ذلك مؤلماً جداً". ثم انهمرت الدموع على خديها، فنظر إليها طيف جوني بحزن.

"لا تبكي يا أمي. لن أكون بعيداً. تعلمين هذا".

"أريدك هنا، تماماً كما كنت".

"أعلم ما تريدين، وأنا أريد ذلك. جميعنا يريد ذلك. لكنني لا أستطيع. عليَّ أن أرجع". بقاء طيفه معهم للأشهر القليلة الماضية كان هدية مطلقة.

قالـــت وهـــو يلفها بذراعيه: "نحن بحاجة إليك... أنا بحاجة إليك... وبوبي ووالدك وشارلي".

قـــال ببساطة: "أنا أحبك". وللحظة، خطر لها معنى ما قاله. فبدت الكلمات عميقة فجأة، كالمشاعر التي حملتها. حتى أعمق مما قد تخيلتها، إذ بدت الكلمات كغيوم غلفتها وحضنت كل الألم الذي شعرت به أو كانت تخشاه منذ البداية.

قالـــت وهـــي تنظر إليه: "تبدو متعباً. وأنت أيضاً تعلم أنني أحبك".

"أجـــل، أنـــا كـــذلك. لطالما علمت ذلك". شعرت بالارتياح لـــسماعها ذلـــك. فوقفا وحضنا بعضهما للحظات طويلة ثم خرجا بـــبطء مـــن المطبخ لينضما للآخرين. كان الجميع يشعر بالتخمة والـــتعب والنعاس. وبعد قليل، صعدوا جميعهم إلى الطابق العلوي وتبادلوا الأمنيات ثانية ودخل كلٌ إلى غرفته.

كـــان الـــولدان غارقين في نوم عميق بينما كانت هي وجيم مستلقيين في السرير يتحدثان عن يومهم الممتع بالرغم من الحقيقة الأليمة لغياب جوني. وشعرت بقليل من الذنب عندما ذكر جيم ذلك لأنها وبوبي فقط يعلمان أن طيف جوني كان معهم. قال جيم وهما مـــستلقيان فـــي الظلام وذراعه تلفها: "أتعلمين، أشعر بالطمأنينة حياله. وكأنه في مكان سعيد. لا أدري لماذا، لكنني أشعر بذلك".

تـــنهّدت قائلـــة: "وأنا كذلك". ثم حضنا بعضهما. وبعد قليل غـــرق جـــيم في النوم لكن أليس لم تستطع ذلك بالرغم من التعب الشديد ومن طول ذلك اليوم. كل ما كانت تفكر به الليلة هو طيف جوني. وبعد منتصف الليل بمدة، قامت أخيراً ومشت في الممر، إذ

كانـــت ســتنزل لتحضر كوباً من الحليب الدافئ ليريح أعصابها ويهــدئ معــدتها. وعندما خرجت من غرفتها، رأت طيف جوني يخــرج مـــن غرفة شارلوت. فقد مضى على وجوده معها وقت طــويل وظلّ ممسكاً بيدها حتى نامت. وها هي تبتسم الآن وتحلم به.

وأمضى قبل ذلك بعض الوقت مع بوبي وتحدثا لوقت طويل، عما تعنيه متابعة الحياة وأن تحمل الأشخاص الذين تحبهم معك في قلبك.

كـــان قــد سأله بوبي، دون أن يشعر بقلق حيال ذلك، إذ بدا وكأنه تفهم الأمر بالرغم من كونه طفلاً: "أنت راحل مجدداً، أليس كذلك؟"

"أجل، أنا راحل". لطالما كان جوني صادقاً معه.

"هل ستأتي ثانية؟" كانت عينا بوبي متسعتين من التعجب.

"ربما، لكنني لا أعتقد ذلك".

قـــال بوبي: "شكراً لمساعدتك لي على الكلام ثانية". ثم تعانقا لــوقت طــويل سيتذكر بوبي أخاه دائماً وبطرق عديدة. فقد كان يشبهه من عدة أوجه.

بــدأ طــيف جوني يخبر والدته عن ذلك وهما متوجهان إلى الطابق السفلي، ثم توقف ودخل إلى غرفته وتأملها للحظات. كان يعلم أنه سيفتقد الجميع تماماً كما يفتقدونه. وذكّر والدته بأن تعطي بوبـــي ســـترته الرياضـــية عندما تصبح مناسبة له، وأن بإمكان شارلوت أن تستعيرها حالياً. فانهمرت الدموع من عينيها عند قوله تلـــك الكلمـــات. إذاً، كانت تلك لحظات الوداع مجدداً. ولأنها لم

توافق على وداعه في المرة الأولى أبداً ورفضت ذلك، ربما، ولهذا الـــسبب رجـــع إليهم، لرفضها السماح له بالرحيل؛ أو ربما رجع لينهي بعض الأمور. لكنه الآن أنجز كل شيء بإتقان تام، كما كان كـــل شيء في حياته. في ثلاثة أشهر، أنجز الكثير لعدة أشخاص. ولم تستطع أليس أن تصدق كم من البركات والنعم حلّت عليهم.

راقـــبها طيف جوني وهي تسخن الحليب ثم جلس إلى جانبها وهي تشربه. وبعد أن انتهت، رفعت ناظريها إليه وأدركت السبب الـــذي منعها من النوم في تلك الليلة. إنه راحل. حتى إنها لم تقوَ على لفظ تلك الكلمات له. مجرد ورود الفكرة كان مؤلماً جداً، لكنه هزّ رأسه وهي تنظر إليه.

"لا تفعلي ذلك ثانية يا أمي. دعيني أرحل. سأكون معك هنا، دائماً، حتى عندما لا يمكنك رؤيتي".

قالت والدموع في عينيها: "سأشتاق للحديث معك. ماذا سأفعل من دونك؟"

"ســتكونين منـــشغلة بوالدي والآخرين". ابتسم لها وحضنها. وبعـــد قلـــيل، وقفـــا ونظرت إليه بكل ما تكنّه له من مشاعر منذ ولادته.

"أحبك، جوني".

"أنـــا أيضاً أحبك يا أمي... أكثر مما يمكنك أن تتصوري... أكثر مما قلته لك".

"أنت فتى رائع، وأنا فخورة بك... وسأكون كذلك دائماً".

"أنا فخور بك أيضاً". ثم استدار وكأنه نسي شيئاً، فأخرج من جيـــبه علبة مستطيلة كان قد غلّفها بطريقة غريبة وأعطاها إياها.

"هذه لك ولوالدي. ستجعلكما سعيدين لوقت طويل، طويل جداً، حتى نهاية حياتكما. أتمنى ذلك".

سألته بفضول لتعرف ما بداخلها: "ما هذه؟ هل أفتحها الآن؟"

قال بحزم: "لا، افتحيها لاحقاً". فوضعتها في جيب ثوب حمامها الذي كانت ترتديه.

ثم مشى ببطء نحو الباب ولحقت به. وقفا هناك لوقت طويل يتأملان السماء في الليل ويتعانقان. فقد كان يحضنها بقوة تماماً كما كان يفعل عندما كان ولداً صغيراً. وشعرت بالحليب الدافئ الذي شربته يدفئها. شعرت بسكينة وتعب، وبارتياح مستغرب، وحضنها لوقت طويل ثم قبّل خدها. قبّلته مرة أخيرة وخرج يمشي في الظلام فيما كانت تراقبه. أرادت أن توقفه أو تركض وراءه، لكنها كانت تدرك أنها لا تستطيع. التفت وراءه ليبتسم لها، فابتسمت له والدموع تنهمر من عينيها، لكنه كان حزناً من نوع مختلف هذه المرة، ممزوجاً بالشوق والفرح والامتنان لكل ما فعله من أجلها. رفّت عينيها للحظة لتزيل الدموع منهما، فإذا به يختفي، يمشي بهدوء في الظلام إلى مكان حيث لا يمكنها اللحاق به.

وقفت عند الباب لوقت طويل ثم أغلقته بهدوء. كان من الصعب عليها أن تصدق أنه رحل، بدا لها الأمر مستحيلاً. تماماً كما كان الأمر في المرة الأولى. لكنه كان محقاً، الأمر الآن مختلف. فقد كانت تفتقده أصلاً، ولم تكن متأكدة من أنها مهيأة للأمر كما قال لها إنها ستكون لأنها شعرت به يملأ قلبها وهي تعود أدراجها إلى غرفتها. وعندما نظرت إلى جيم ينام بسلام،

أدركت أن جوني سيكون معهم دائماً. وعندما خلعت ثوبها، تذكرت الهدية الصغيرة التي تركها لهما جوني.

دخلت إلى الحمام وأضاءت النور لتفتح العلبة. وعندما فعلت ذلك، ضحكت بصوت عالٍ. كانت هدية مجنونة. مجرد دعابة، ولا شيء مهم. كانت عبارة عن فاحص للحمل من النوع الذي يمكن شراؤه من المتاجر. كانت بمثابة رسالة منه يخبرها فيها أن تقوم بعمل لم تفكر به هي وجيم منذ سنوات. كانوا قد فكروا في إنجاب طفل رابع، لكن بعد حادثة بوبي، قرروا ألاّ يفعلوا. وفيما كانت تحمل العلبة في يدها، شعرت وكأنها سمعت صوت جوني في رأسها يطلب منها أن تستعمله.

"هيا يا أمي... هيا... افعلي ذلك". كانت الكلمات واضحة جداً، وكأنه لا يزال واقفاً معها هناك، وتساءلت إن كان كذلك فعلاً، لكنها لم تستطع رؤيته أو سماعه. كان بإمكانها فقط أن تشعر به في قلبها. الشهور الثلاثة الأخيرة كانت لا تصدَّق، هي فترة ستحفظها وتتذكرها دائماً. وبينما كانت تفكر به، فكّرت فجأة بالقرحة التي كانت مقتنعة أنها أصيبت بها ثانية في الأيام القليلة الماضية، والانزعاج الذي شعرت به، وتساءلت إن كان جوني يقصد شيئاً ما بهديته السخيفة. لم تكن تتصور أن يحدث ذلك، لكن وبالرغم من كونها هدية سخيفة، إلا أنها قررت أن تستجيب لرغبته وتستخدمه.

وبعد خمس دقائق، وفيما هي واقفة تقرأ نتيجة الفحص، أدركت أن الصوت كان واضحاً جداً وكأنه هو موجود معها. لقد كان، وسيظل دائماً معها، وهديته لها، لم تكن فقط زيارة طيفه.

كانت هناك حياة جديدة في داخلها، فسحة أمل جديد أمامها. كانت تشعر به بقربها وهي تفكر بالأمر. انتهت حياة أحد الأولاد وبدأت حـــياة آخـــر. وجوني، الولد الذي أحبته جداً ولم تفقده أبداً، ابنها وتوأم روحها، سيكون دائماً معها في قلبها.